

دار
الشروق



المكتبة
الكلاسيكية

ويليام شكسبير حلم ليلة في منتصف الصيف

ترجمة: حسين أحمد أمين



دار الشروق

٢٥٠ م

حلم ليلة
في منتصف الصيف

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسى - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٢٩٣٣٣
فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) - تليكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨٦٧٥٥٥ - تليكس : SHOROK 2017٦ LE

ويليام شكسبير
حلم ليلة
في منتصف الصيف
ترجمة: حسين أحمد أمين

دار الشروق

مقدمة

(١)

نبدأ بالعنوان المضلل للمسرحية ، وهو الذى يوحى بأن أحداثها وقعت فى منتصف الصيف ، بينما الواضح من النص أنها وقعت فى الفترة ما بين ٢٩ إبريل وأول مايو . ففى الفصل الرابع يتحدث ثيسوس عن العشاق الأربعة فيقول :

« لابدّ أنهم استيقظوا فى ساعة مبكرة للاحتفال مثلنا بمطلع الفجر ، وأداء طقوس عيد أول مايو ، وأن يكونوا قد علموا بنيتنا الخروج فجاءوا لاستقبالنا » .

ففى الغابة قضى العشاق إذن ليلة ٣٠ إبريل وصبيحة أول مايو . وإذا كان ليساندر قد طلب من هيرميا فى المشهد الأول من الفصل الأول أن تهرب معه إلى الغابة « غدا فى الليل » ، فلا بدّ من أن تكون أحداث المسرحية قد بدأت يوم ٢٩ إبريل . وفى ذلك المشهد يُمهّل ثيسوس هيرميا حتى يوم زفافه إلى هيبوليتا لتقرّر ما إذا كانت تقبل الزواج من ديميتريوس . وحيث أنه فى الفصل الرابع (أى يوم عيد أول مايو) نسمعه يسأل إيجيوس : « أليس اليوم هو اليوم المحدد لإدلاء هيرميا برّدها وقرارها ؟ » ، فيجيبه إيجيوس بالإيجاب ، فلا بدّ من أن يكون حفل الزفاف فى ختام المسرحية قد تمّ فى ذلك اليوم .

غير أن ثيسوس فى مستهل المسرحية (أى يوم ٢٩ إبريل) يتحدث عن زفافه الذى سيُحتفل به « بعد أربعة أيام » (أى فى ٣ مايو) ، وهو ما يوحى بأن المؤلف قد

عدّل من مسار أحداث المسرحية أثناء كتابته لها ، ونسى تصحيح عبارة « بعد أربعة أيام » في مستهلّها .

فأحداث المسرحية إذن لا تقع لا في منتصف الصيف ، ولا حتى في شهر من شهور الصيف . والكثير من ترجمات المسرحية إلى اللغات غير الإنجليزية تغفل من العنوان كلمة « منتصف » وتجعله « حلم ليلة صيف » (١) . غير أننا رأينا الاحتفاظ بالعنوان كما هو ، على أساس أنه ربما كان شكسبير قد أسماها بهذا الاسم لأن حفل الزفاف الذى عُرضت المسرحية أثناءه لأول مرة تمّ في منتصف الصيف ، (وإن لم يكن ثمة دليل على ذلك) ، أو لأنها شبيهة بالأحلام الغريبة التى يراها النائم في ليالى منتصف الصيف بتأثير شدة حرارة الجو .

(٢)

أما تاريخ كتابة شكسبير لهذه المسرحية فحوالى عام ١٥٩٥ ، حين كان في نحو الحادية والثلاثين . فإن كان الشك لا يزال يحيط بتاريخ كتابته لمسرحياته ، خاصة تلك التى كُتبت قبل عام ١٥٩٨ ، فبوسعنا أن نذكر في شيء من الاطمئنان أن السنوات فيما بين ١٥٩٤ و ١٥٩٦ شهدت تأليف المسرحيات التالية :

« سيّدان من فيرونا » - « خاب مسعى العشاق » - « روميو وجولييت » - « ريتشارد الثانى » - « حلم ليلة في مُنتصف الصيف » . وثمة في المشهد الأول من الفصل الثانى حديث طويل لثيتانيا ملكة الجن - لا دخل له على الإطلاق بأحداث المسرحية - عن اضطراب نظام الفصول وما نجم من كوارث عن تقلّب الطقس ، يوحى بأنه وصف للأحوال الجوية الشنيعة التى سادت انجلترا عام ١٥٩٤ ، والتى تحدّث عنها عدة مصادر معاصرة وصلت إلى أيدينا .

وقد صدرت الطبعة الأولى من المسرحية عام ١٦١٠ ، أثناء حياة المؤلف ،

(١) هو في الفرنسية مثلاً Le songe d'une nuit d'été في ترجمة فرانسوا فيكتور هيجو .

وبترخيص من فرقته . ثم ظهرت الطبعة الثانية عام ١٦١٩ (بعد وفاته بثلاث سنوات) ، وإن كان قد كُتِبَ على غلافها كَذِبًا أنها طبعت عام ١٦٠٠ . وهى طبعة صحّحت أربعة أخطاء مطبعية وردت فى الطبعة الأولى ، واحتوت على أكثر من ستين خطأ جديدًا . وإلى هذه الطبعة الثانية الرديئة استندت طبعة الفوليو الأولى عام ١٦٢٣ الحاوية لكل مسرحيات شكسبير (عدا مسرحية بركليس) . . . وحيث إن الطبعة الأولى قد اعتمدت على مسوّدة بخط المؤلف ، فهى أجدر الطبعات القديمة بالثقة ، ولا تثير من المشكلات ما تثيره معظم المسرحيات الأخرى التى لم تطبع إلا بعد وفاة شكسبير . . . ومن الشائق أن نذكر هنا أن المؤلف وفرقته المسرحية لم يكن من مصلحتها عادة نشر التمثيليات التى يقدّمونها على المسرح فى كتب ، حتى لا تستخدم النصّ المطبوع فرق أخرى ، وحتى لا يؤثر طبعتها فى إقبال الجمهور على مشاهدتها . فالمسرح كان همتها الأول والأخير . غير أن إعجاب الناس بشكسبير دفع بعض الناشرين أثناء حياته إلى بذل الجهود سرًا للحصول على نصوص مسرحياته لطبعها ، وإلى رشوة بعض ممثلى الأدوار الثانوية حتى يُملأوا عليهم النصوص كما وعتها ذاكرتهم .

ويكاد يكون مؤكدًا أن المسرحية ألّفت كى تمثل أثناء حفل عُرس ، وإن كان ثمة خلاف حول هوية صاحب الحفل ، وحول ما إذا كانت الملكة إليزابيث الأولى من بين المدعوين إليه . فحديث ملك الجان الطويل فى ختام المسرحية الذى يدعو فيه للعروسين باليمن والبركات ، ولنسلهما بالحظ السعيد ، ولصاحب الدار بالخير والسرور ، لا يكاد يكون له مبرر غير تمثيل المسرحية أثناء حفل زفاف . أما عن حضور الملكة إليزابيث الحفل فيرى البعض فى ذلك استحالة مع ما ورد فى الفصل الأول من استنكار لحياة العزوبة (وقد بقيت إليزابيث طيلة حياتها دون زواج) ، فى حين يرى الآخرون أن ثناء أوبيرون ، ملك الجان ، على إليزابيث فى الفصل الثانى يوحي بأنها كانت من بين الحاضرين فى العرض الأول للمسرحية .

(٣)

أما عن المصادر التي استقى منها شكسبير عناصر مسرحيته فمتعددة ، رغم أن البناء والحبكة له ، ورغم أنه استوحى الكثير من خبراته الخاصة ومن ذكريات شبابه الأول في ستراتفورد . . فقصه الاحتفال بزواج ثيسوس من هيبوليتا ملكة الأمازونات ، مأخوذة من « قصة الفارس » الواردة في « حكايات كانتربوري » لتشوسر ، ومن ترجمة بلوتارك لحياة ثيسوس . فإن كان شكسبير قد استقى فكرة مسرحية « سيدان من فيرونا » من قصة الكاتب الأسباني مونتيايور « ديانا » (١٥٥٩) ، وتكملتها التي ألفها جاسبار جيل بولو عام ١٥٦٤ وأسماها « ديانا العاشقة » ، فقد عاد إلى استلهم أحداثها في « حلم ليلة في منتصف الصيف » ، فيما يتعلق بمطاردات العشاق في الغابة ، وتعاويد الحب التي أثرت في العلاقات بين هيرميا وهيلينا ، وليساندر وديميتريوس .

وقد أخذ شكسبير قصة يراموس وثيسبي التي مثلتها جماعة العمال في حفل زفاف ثيسوس من كتاب « مسخ الكائنات » للشاعر اللاتيني أوفيد . أما العمال الستة أنفسهم (بمن فيهم النساج بوتوم ، وهو أطرف شخصيات المسرحية وأحسنها تصويرًا وأكثرها إشاعة لجو المرح فيها) ، فمن خلق شكسبير وحده . وأما الجنّي الصغير بكّ (المعروف في الريف الإنجليزي باسم روين جودفيلو) وكذا سائر الجن ، فقد استوحى شكسبير في تصويرهم الأدب الشعبي الإنجليزي ، وكتاب ريجينولد سكوت « اكتشاف السحر » الصادر عام ١٥٨٤ . ومن هذا الكتاب أيضًا ومن رواية « الجحش الذهبي » لأبيوليوس (١٢٤ - ١٧٠ م) ، أخذ شكسبير فكرة رأس الجحش التي وضعها الجنّي بكّ مكان رأس بوتوم . ومن هذه المصادر وغيرها نقل المؤلف اسميّ أوبيرون وتيتانيا وبعض الأفكار عن رقصات الجن وأغانهم ، وفكرة استخدام كوينس الخاطئ للنقط والفواصل ، مما يحدث اضطرابا يُفسد المعنى ، وقد يعكسه .

بيد أن المعجزة الحقيقية التي حقّقها شكسبير في هذه المسرحية (كما في الكثير من مسرحياته الأخرى) تتمثل في خلقه وحدة واحدة بالغة الانسجام والسلاسة والعذوبة من كل هذه العناصر التي استوحاها من مصادر عدّة . وتوضح إشارتنا المختصرة

السابقة إلى المصادر أن ثمة في المسرحية أربع مجموعات من الشخصيات : ثيسوس وهيبوليتا - العشاق الأربعة (هيلينا وديميتريوس ، وهيرميا ولساندر) - الجن - العمال . فإن كانت المسرحية تبدأ بحديث بين ثيسوس وخطيبته هيبوليتا عن زواجهما المرتقب ، فهي تنتهى باجتماع كافة أفراد المجموعات - مع ما لكل منها من شواغل خاصة - في حفل الزفاف .

ولا تنحصر عبقرية شكسبير في استطاعته التوفيق والجمع بين كل تلك العناصر المتنافرة في بناء تمثيل واحد ، وإنما تتعداها إلى قدرته على خلق جو سحري يُغلف المسرحية كلها ، (وهو ما يُعتبر عنوان المسرحية ، « حلم ليلة في منتصف الصيف » ، مفتاحاً له وتعبيراً عنه) ، وكذا مهارته في المزج بين الكلاسيكية والرومانسية والواقعية في تناوله لأحداثها ، وتنقله الرائع السلس بين استخدام العمال للنثر ، والعشاق للشعر المَقْفَى . والتبلاء للشعر المنشور ، والجن للأغاني . فإن كانت كافة شخصيات المسرحية - فيما عدا بوتوم ، وربما بك أيضاً إلى حد ما - باهتة المعالم (بحيث يمكن الحديث مثلاً عن ليساندر وديميتريوس بأنهما العاشق رقم ١ والعاشق رقم ٢) ، فإن إتقان تصوير الشخصيات لم يكن هدف المؤلف ، وإنما كان هدفه خلق جو متميز من السحر عن طريق التحليق في سماء الخيال ، مما لا يدع حاجة أو داعياً إلى العناية بتصوير الشخصيات . وهو ما يذكرنا إلى حد ما بمسرحيات تشيخوف وقصصه التي يظل جوها ، لا شخصياتها ، هو العالق دوماً بذاكرة المشاهد أو القارئ .

(٤)

كتب صامويل بيبس في يومياته بعد نحو نصف قرن من وفاة مؤلف « حلم ليلة في منتصف الصيف » ، يقول :

٢٩ سبتمبر ١٦٦٢ :

« قصدتُ مسرح كينجز حيث شاهدت « حلم ليلة في منتصف الصيف » التي لم أشاهدها من قبل ، ولن أشاهدها أبداً مرة أخرى . فهي أسخف وأتفه مسرحية

شاهدتها في حياتي . وكان استمتاعى الوحيد هو ببعض الرقصات فيها ، وبجمال بعض المثلثات !

غير أن المؤكد من تاريخ المسرحية منذ عرضها الأول وحتى يومنا هذا أنها كانت دوماً من أحب مسرحيات شكسبير إلى قلوب القراء والمشاهدين ، بل وإلى كبار الشعراء من أمثال ميلتون وكيّتس . يشهد على ذلك إقبال الموسيقيين على تلحين عدة أوبرات مستقاة منها ، أشهرها أوبرا هنرى بورسيل (عام ١٦٩٢) المعروفة باسم «ملكة الجان » ، وأوبرا بنجامين بريتن « حلم ليلة في منتصف الصيف » عام ١٩٦٠ ، وقيام مندلسون بكتابة افتتاحيته الموسيقية الشهيرة للمسرحية عام ١٨٢٦ ، وماكس راينهارد بتحويلها إلى فيلم سينمائى عام ١٩٣٥ ، والمخرج المسرحى الشهير بيتر بروك بإخراجها لإخراجاً فريداً فى بابيه عام ١٩٧٠ لتقديمها على المسرح فى ستراتفورد بلدة شكسبير ، وتوالى عرضها عامّاً بعد عام فى الهواء الطلق بحديقة ريجيبتس بارك فى لندن . . كل هذا بالرغم من أنه نادراً ما وُفّق مخرجٌ للمسرحية طوال القرون الأربعة التى مرّت على تأليفها (١٥٩٥ - ١٩٩٥) إلى تحقيق التوازن المثالى بين العناصر المختلفة فيها . ويقول النقاد اليوم إن هذه المسرحية كانت من أحظى مسرحيات شكسبير بالشعبية والنجاح فى القرن العشرين .



فإن كان لابدّ من الإشارة إلى محور رئيسى للمسرحية ، فهو الأنماط المختلفة من الحب ، وما تحفّ بالحب عادة من متاعب وصعاب . . ففى المشهد الأول من الفصل الأول :

ليساندر : واحرّ قلباه ! ما قرأت من شىء ولا سمعتُ من القصص والتاريخ إلا فهمتُ منه أن طريق الحب هو دوماً محفوف بالمصاعب والأشواك . .
فثمة إما تفاوت المكانة الاجتماعية بين الحبيبين

هيرميا : ما أضغخمها من عقب تحول دون وُضُل الغمورين !

ليساندر : أو تفاوت كبير فى السن بينهما

هيرميا : ما أكبرها من عقبة تحول دون وَضَل الشباب !

ليساندر : أو أن الأمر والاختيار في يد الأصدقاء

هيرميا : ما أبشعها من عقبة تترك أمر اختيار الحبيب لأعين الآخرين !

ليساندر : أو حتى إن توقّرت المحبة والكفاءة ، فكثيرا ما كان الحب مهتدا بنشوب الحرب ، أو حلول الموت ، أو وفود المرض ، ما يجعله مؤقتا كالصوت ، عابرا كالخيال ، قصيرا كال حلم ، خاطفًا كالبرق في الليلة الظلماء .

وفي نفس المشهد تستفسر هيلينا البائسة في حبه لديميتريوس عن سرّ استحواذ صديقتها هيرميا على قلبه وهى العاشقة لغيره :

هيلينا : علّمنى إذن كيف أبدو وأظهر . . علّمنى ذلك الفن الذى مكّنك من التحكّم فى خلجات قلب ديميتريوس .

هيرميا : أعبس فى وجهه فيظل صامداً فى حبه لى .

هيلينا : ما أخرى ابتساماتى أن تتعلم هذا الفن من عبوسك !

هيرميا : أغمره بلعناتى فيغمرنى بحبه .

هيلينا : ألا ليت لتوسلاتى نفس تأثير لعناتك .

هيرميا : كلما زادت كراهيتى له زاد تعلّقه بى .

هيلينا : وكلما زاد حبى له زادت كراهيته لى .

والأهم من ذلك كله عند شكسبير هو إبراز فكرة أن الحب أعمى ، بمعنى أنه خاضع لنزوات قوى غير بشرية (يمثلها فى هذه المسرحية الجنيان أوبيرون وبك) ، مما يدفع العاشق دفعا ، ودون إرادة منه ، إلى توهم الفضائل والمحسن كلها فى العارى منها ، والتعامى عنها فى المتحلّى بها ، والتنقل من هوى إلى آخر دون أدنى مبرر ، مع الظن أنه فى هواه الأول كان واهما أو غرّا بليداً ، ثم صارت له بعد زوال الوهم عينان مبصرتان واضحتا الرؤية :

ليساندر : لم أكن في وعي حين أقسمت لها أنى أهواها .

هيلينا : ولا أنت في وعيك الآن إذ تقرآن تنساها !

فهو قدّر لا دخل لإرادات البشر فيه ، وسهم من سهوم كيوييد يصوّبه في أى اتجاه شاء .

* * *

والمسرحية مع ذلك هى فى رأى فى غنى عن التعليق والتحليل والبحث عن محورها وفكرتها الرئيسية . فهى إنما تدعونا فحسب إلى الاستمتاع بها ، والاستغراق فى شاعريتها وسحرها وسعة الخيال فيها وجمال نسيجها متعدد الألوان . وهو استغراق يلهينا عن حشد من الأخطاء التاريخية وغير التاريخية التى وقع شكسبير سهوا فيها ، أو كان متنبها إليها ولكنه لم يعبأ بتصحيحها : كالإشارة إلى ثيسبوس (وهو من أبطال الأساطير الإغريقية القديمة) باعتباره « دوق » أثينا ، والحديث عن ساعة تعلن دقائقها عن حلول منتصف الليل ، وعن كنائس والمقابر فى أفنيثها ، وعن نظام الرهينة ، وعن عمال ذوى أسماء وسماة إنجليزية ، وعن طلقات البنادق ، وعيد القديس فالتين ، وعقائد مسيحية شتى ، هذا بالإضافة إلى ما أشرنا إليه آنفا من خطأ فى تحديد الفترة التى وقعت فيها أحداث المسرحية ، وربما فى عنوان المسرحية ذاته .

حسين أحمد أمين

مصر الجديدة فى ١٨ إبريل ١٩٩٤

شخصيات المسرحية

ثيسوس	دوق أثينا
هيبوليتا	ملكة الأمازونات (١) ، وخطيبة ثيسوس
ليساندر	شاب أثيني يعشق هيرميا
هيرثيا	شابة تعشق ليساندر
ديميتريوس	شاب أثيني يعشق هيرميا
هيلينا	شابة تعشق ديميتريوس
إيجيوس	والد هيرميا
فيلوسترات	المشرف على تنظيم الاحتفالات في بلاط ثيسوس
بوتوم	نَسَاج
كوينس	نَجَّار
فلوت	مصلح المنافخ (٢)
سناوت	سمكري
ستار فلينج	خيَاط
سَنَج	نَجَّار

عمال أثينيون

(١) الأمازونات : نساء محاربات زعمت الأساطير الإغريقية أنهن كن يقمن في مملكة لمن قرب البحر الأسود .
(٢) جمع مِنفاخ .

أويرون	ملك الجن
تيتانيا	ملكة الجن
بَكْ	(أورويين جودفيلو) خادم أويرون
زهر البسلة	[من الجن
نسج العنكبوت	
عُتَّة	
حبّ الخردل	
أتباع - رجال البلاط - جنّ وجنيات	

تقع أحداث المسرحية في أثينا وغابة خارجها

مشاهد المسرحية

الفصل الأول :

المشهد الأول : قصر الدوق في أثينا

المشهد الثانى : منزل كوينس في أثينا

الفصل الثانى :

المشهد الأول : غابة قرب أثينا

المشهد الثانى : مكان آخر في الغابة

الفصل الثالث :

المشهد الأول : في الغابة

المشهد الثانى : في الغابة

الفصل الرابع :

المشهد الأول : في الغابة

المشهد الثانى : منزل كوينس في أثينا

الفصل الخامس :

المشهد الأول : القصر في أثينا

المشهد الثانى : مكان آخر في القصر

الفصل الأول

الفصل الأول

المشهد الأول

قصر الدوق فى أثينا

(يدخل ثيسىوس وهيبوليتا مع فيلوسترات وأتباع آخرين)

ثيسىوس : ساعة زفافنا تقترب ، أى هيبوليتا الحسنة . وبعد أربعة أيام سعيدة يظهر هلال الشهر الجديد . ومع ذلك فإننى لأحال القمر القديم متباطئاً فى أفوله ، فيقف تباطؤه حائلاً بينى وبين تحقيق رغباتى ، كما تقف الأرملة أو زوجة الأب حائلاً بين الشاب وبين أن يرث ثروة أبيه .

هيبوليتا : سرعان ما سيُغْلَف الليلُ كلَّ نهار من تلك الأيام الأربعة ، وتقطع الوقت أحلامُ كل ليلة من الليالى الأربع . وبعدها يشهد احتفالات زفافنا القمرُ الجديد ، وهو فى صورة قوس فضى تشده قبضة قوية فى السماء استعداداً لإطلاق السهم .

ثيسىوس : إمض يا فيلوسترات ، وادعُ شباب أثينا إلى المشاركة فى الاحتفالات ، وأيقظ من سُباتها روح المرح بصخبها وبهجتها ، واصرف إلى الجنائز مشاعر الحزن الشاحب الذى لا يليق باحتفالنا البهيج .

(يخرج فيلوسترات)

خطبتُ مودَّتكَ يا هيبوليتا بسيفى ، وظفرت بحبِّك عن طريق إلحاق

الأذى بك^(١) . غير أنى إذ أحتفل بزواجى منك سأتهج منوالاً آخر :
منوال الفخامة ونشوة الظفر وتهية الملمات .

(يدخل إيجيوس وابنته هيرميا ، يتبعها ليساندر وديميتريوس)

إيجيوس : غنياتنا بالسعادة لدوقنا الشهر ثيسبيوس .

ثيسبيوس : شكراً لإيجيوس النبيل . . ما أخبارك ؟

إيجيوس : إننا آتى إليك وملئى الغضب ، لأتقدم بشكوى من ابنتى هيرميا . .
تقدّم يا ديميتريوس . . مولاي النبيل ، لقد حظى هذا الرجل بموافقتى
على الزواج منها . . تقدّم يا ليساندر . . غير أن هذا الرجل يا سيدى
الدوق قد فتن بالسحر قلب ابنتى . . نعم أنت ، أنت يا ليساندر ،
أعطيتها قصائد الشعر ، وبادلتها هدايا المحبة ، وتسلك إلى نافذتها فى
ضوء القمر لتغنى - وقد غيّرت من صوتك - أغنيات تدعى فيها أنك
تحبها ، وغرّرت بها لتسلب حبها عن طريق إهدائك إياها خصلات من
شعرى ، وأقراطاً ، وهدايا لا قيمة لها ، وعطايا لا جدوى منها ، وأشياء
صغيرة وتفاهاة ، وباقات زهر وخلوى ، وغير ذلك مما يؤثر تأثيراً قوياً
فى الشباب الغرّ الذى لم تحنكه التجارب ، فسلبت بمكرى قلب ابنتى ،
فإذا بواجب الطاعة الذى تدين به لى وقد تحول إلى تصلّب وعناد . . فإن
هى أبث هنا - وفى حضرتك يا سيدى الدوق - أن تقبل الزواج من
ديميتريوس ، فاسمح لى أن أتمسك بحقى وفق التقاليد الأثينية
القديمة ، وباعتبارها ملكاً لى ، فى أن أتصرّف فى شخصها كما يحلولى .
فإما أن تقبل هذا السيد ، أو فليكن الموت جزاءها كما يقضى قانوننا
المتعلّق بمثل هذه الحالة .

ثيسبيوس : ما قولك يا هيرميا ؟ إستمعى لى نصحى أيتها الفتاة الجميلة ، وليكن

(١) كان ثيسبيوس قد حارب الأمازونات ، وهزمهن ، وسبى ملكتهن هيبوليتا فى الحرب

أبوك بمثابة إله لك . فأليه يرجع الفضل فيما تتمتعين به من مفاتن .
نعم . وما أنت إلا كقالب من الشمع قد طبعه بطابعه ، ومن حقه أن
يحتفظ بهذا القالب كما هو أو أن يمسخه بإرادته . . ثم إن ديميتريوس
سيد جدير بك .

هيرميا : وكذا ليساندر .

ثيسيوس : نعم ، هو جدير بك في حد ذاته . غير أن افتقاره إلى رضا والدك يجعل
الآخر أكثر جدارة .

هيرميا : كم كنت أتمنى أن ينظر أبى إليه بعيني .

ثيسيوس : بل كان الواجب أن تهتدى عينك برأيه .

هيرميا : صفحا ومغفرة يا مولاي . . إننى لا أدري أى قوة تلك التى تمدنى بهذه
الجرأة ، ولا كيف سيؤثر فى سمعتى تعبيرى عن رأى فى حضرة
كحضرتك . غير أنى أتوسل إلى مولاي أن يُعلمنى بالمصير الذى
يتهددنى فى هذه الحالة ، إن أنا أبيت الزواج من ديميتريوس .

ثيسيوس : إما الموت أو اعتزال الناس إلى الأبد . . لذا فإنى أدعوك أى هيرميا الحسنة
أن تعيدى النظر فى رغائبك ، وأن تقدّرى صغر سنك ، وأن تكبحى
جهاش نزوتك ، وأن تفكرى جيدا فيما إذا كان بوسعك - متى أبيت
الانصياع لرغبة والدك - أن تحتل زىّ الراهبات ، وأن تحبى إلى الأبد
سجينة فى دير مظلم ، وتظلّ عقيمة طيلة عمرك تصلين لإلهة القمر
العقيمة الباردة . . صحيح أن الآلهة تبارك أولئك اللواتى يُمسكن بقوة
بعنان رغباتهن ، حتى يلتزمّن بالعفة طيلة مسار حياتهن . غير أن تقطير
الورود يضمن فى هذه الحياة الدنيا سعادة أوفرّ من تلك التى ستكون من
نصيب من اختارت حياة العزوبة ، فتنمو وتعيش وتموت معلقة على
أشواك العذرية وقد ذبلت نضارتها .

هيرميا : إننى لأفضّل يا مولاي أن أنمو وأعيش وأموت على هذا النحو الذى
ذكرت ، على أن أسلم عُذرتى لهذا السيد الذى تأبى روحى أن تُسلم له
قيادها وترفضه .

ثيسوس : بل فكرى فى الأمر بضعة أيام . حتى إذا ما هلّ هلال الشهر الجديد ، وحلّ يوم توثيق عهد المودة الأبدى بينى وبين من ملكت فؤادى ، كان عليك إما قبول عقوبة الموت لعصيانك أمر أبىك ، أو قبول ديميتريوس زوجا لك كما قضت إرادته ، أو أداء القسم عند محراب الإلهة ديانا بالتزام التقشف وحياة العزوبة إلى أبد الآبدين .

ديميتريوس : لتراجعى ، أى هيرميا الرقيقة عن موقفك ، ولتهجر ، أى ليساندر مطالبك الحمقاء بما هو حق أكيدلى .

ليساندر : ما فى جعبتك يا ديميتريوس غير حب أبيها لك . أما عنى فأملك محبتها لى . فلتزوج إذن من أبيها !

إيجيوس : أتسخر يا ليساندر ؟ صحيح أنه يتمتع بمحبتى . غير أن محبتى ستُغدق عليه ما أملكه . وإذ هى فى عداد ملكى ، فإنى أحبه كل حق لى عليها .

ليساندر : إننى يا مولائى من عائلة كريمة كعائلته ، ومكانتى فى المجتمع لا تقل عن مكانته ، وحبى لهرميا أقوى من حبه لها ، وثورتى تعادل ثروته إن لم تكن تفوقها . غير أن الأهم من كل هذه المزايال التى يتفاخر الناس بها ، هو أن هيرميا الجميلة تحبنى . فلماذا أطلب إذن بالتوقف عن المطالبة بحقى ؟ ثم إننى سأقولها هنا صراحة وأمام ديميتريوس ، أنه غرّر بابنة نيدار ، وتُدعى هيلينا ، وأقنعها بأنه يحبها فوقع فى غرامه . وها هى الفتاة الطيبة الآن تهيم بهذا الفتى المتقلب الذى لا يمكن الوثوق به ، وتعشقه بل وتعبد له كما لو كان إلها .

ثيسوس : أعترف بأننى سمعت شيئا من هذا القليل ، وكان فى نيتى أن أحادث ديميتريوس فى هذا الشأن ، لولا أنى انشغلت انشغالا كاملا بأمورى الشخصية فنسيت الأمر . . ولكن ، تعال معى يا ديميتريوس ، وأنت يا إيجيوس ، فلدى نصيحة خاصة لكل منكما . أما أنت أى هيرميا الحسنة ، فخير لك أن تُكفَى رغباتك فى ضوء مشيئة والدك ، حتى لا يلفظك قانون أثينا الذى لا نملك أن نغيّره ، فيُقصَى عليك إما

بالموت أو بالتزام حياة العزوبة . . . هيا يا هيلوليتا . ما هذا الوجوم
الذى طرأ عليك يا حبيبتي ؟ وهيا يا ديميتريوس وإيجيوس ، فثمة
مهمة تتعلق بعُرْسنا أنوى إسنادها إليكما ، كما أنى سأحاذركما فى أمر
يتعلق بكما . .

إيجيوس : نتبعك يا مولاي سامعين مطيعين

(يخرج الجميع عدا ليساندر وهيرميا)

ليساندر : ما الخبر يا حبيبتي ؟ ما لوجهك قد شحب وذبلت الورود فى خديك بهذه
السرعة ؟

هيرميا : ربما لندرة المطر ، رغم استطاعتي أن أعوض عنه بغزارة ما ينهمر من
عينى من الدموع .

ليساندر : واحر قلباه ! ما قرأت من شيء ولا سمعت من القصص والتاريخ إلا
فهمت منه أن طريق الحب الحقيقى هو دوما مخوف بالمصاعب
والأشواك . . فثمة إما تفاوت المكانة الاجتماعية بين الحبيين

هيرميا : ما أضخمها من عقبة تحول دون وصل المغومرين !

ليساندر : أو تفاوت كبير فى السن بينهما

هيرميا : ما أكبرها من عقبة تحول دون وصل الشباب !

ليساندر : أو أن الأمر والاختيار فى يد الأصدقاء

هيرميا : ما أبشعها من عقبة تترك أمر اختيار الحبيب لأعين الآخرين !

ليساندر : أو حتى إن توفرت المحبة والكفاءة ، فكثيرا ما كان الحب مهتدا بنشوب
الحرب ، أو حلول الموت ، أو وفود المرض ، مما يجعله مؤقتا كالصوت ،
عابرا كالخيال ، قصيرا كالخلم ، خاطفا كالبرق فى الليلة الظلماء . . إن
شهد نوبة غضب اهتزت لها السماوات والأرض ، فإذا بفككت الظلمة وقد
ابتلعها من قبل أن يكون بوسع لسان المرء أن ينبس بكلمة . . بمثل هذه
السرعة إذن تتبدد الأشياء الجميلة الساطعة فى حياتنا .

هيرميا : إن كان طريق الحب الحقيقي هو دوما محفوف بالمصاعب والأشواك ،
فلا بد أن هذا هو قدره المكتوب . . . وعلينا إذن أن نتسلح في محنتنا
بالصبر ، ناظرين إلى المصاعب باعتبارها أمراً طبيعياً مألوفاً في الحب ،
شأن الأفكار والأحلام والتنهيدات والرغبات والدموع وغيرها من توابع
الهوى المسكين .

ليساندر : كلام منطوق ومعقول . فاستمعي إلى إذن يا هيرميا . . . لي عمة أرملة
عجوز ، واسعة الثراء ، لا أولاد لها . فأما بيتها فعلى بُعد سبعة فراسخ من
أثينا . . . وهي تعتبرني بمثابة ابنها الوحيد . . . هناك ، أى هيرميا الرقيقة ،
بوسعنا أن نعقد زواجنا . فالمكان يخرج عن نطاق القانون الأثيني الصارم
وبحال تنفيذه . فإن كنت تحبينني فلتتسللي من دار أبيك غداً في الليل ،
وسأكون في انتظارك في الغابة التي تقع على بعد فرسخ واحد من المدينة ،
في المكان الذي قابلتك فيه مع هيلينا من قبل للاحتفال بعيد مايو .

هيرميا : أقسم لك ، أى ليساندر الرقيق ، بأقوى قوس يمتلكه كيوييد ، وبأفضل
سهامه مذهبة الرؤوس ، وبراءة هائم فينوس ، وبكل ما يقرب بين
العاشقين ويبارك حبه ، وبالنار التي التهمت ملكة قرطاجنة وقد ألفت
فيها بنفسها حين هجرها الطرّوادي الخائن مبحراً بسفينة ، وبكل عهود
الهوى التي يحنث دوما بها الرجال ، والتي تفوق في عددها عدد ما تقطعه
النساء على أنفسهن من عهود ، أقسم بكل هذا أني سأقابلك غداً في
ذلك المكان الذي ذكرته لي .

ليساندر : فلتوفي إذن بوعدك يا حبيبتى . . . انظري ! ها هي ذى هيلينا قد أقبلت .

(تدخل هيلينا)

هيرميا : تحية لك أى هيلينا الحسنة . إلى أين تمضين ؟

هيلينا : تصفيتني بالحسنة ؟ تراجعني عن وصفك هذا ، فالحسنة التي يعشقها
ديميتريوس هي أنت . ألا ما أسعدك من امرأة حسنة ! عينك كنتجمي
القطب ، ونغم صوتك أجمل وقعاً من نغم القُبّة في مسمع الراعى وقت

اخضرار سنابل القمح وظهور البراعم . . ألا ليت للملامح عُدوى
كعدوى المرض ، حتى تنتقل إلّ الآن عدوى ملاحك يا هيرميا الحسناء !
حيثُ تدّ تصيّد أذناى صوتك ، ويتقل إلى عينيّ جمال عينك ، وإلى لسانى
أنغام صوتك العذب . . ألا لو كانت الدنيا بأسرها ملكاً لى ، لأعطيها
لك مقابل قلب ديميتريوس ! علّمنى إذن كيف أبدو وأظهر . علّمنى
ذلك الفن الذى مكّنتك من التحكّم فى خلجات قلب ديميتريوس .

هيرميا : أعبس فى وجهه فيظل صامداً فى حبه لى .

هيلينا : ما أحرى ابتساماتى أن تتعلم هذا الفن من عبوسك !

هيرميا : أغمره بلعناتى فيغمرنى بحبه .

هيلينا : ألا ليت لتوسّلاتى نفس تأثير لعناتك !

هيرميا : كلما زادت كراهيتى له زاد تعلّقه بى .

هيلينا : وكلما زاد حبه له زادت كراهيته لى .

هيرميا : غير أنى لست مسئولة يا هيلينا عن حماقته ، ولا هى عن خطأ منى .

هيلينا : جمالك وحده هو المسئول ، وليت الخطأ كان منى .

هيرميا : هدّئى من روعك . فهو لن يرى وجهى بعد اليوم . لقد اعتزمتُ أنا
وليساندر أن نهرب من المدينة . . لقد كانت أثينا تبدو كالجنة فى عيني
قبل أن تقع عيني على ليساندر . فأية قوة تلك التى تكمن فى هواى إذ
تحوّل الجنة إلى جحيم ؟ !

ليساندر : سنكشف لك يا هيلينا سرّنا . فغدًا عند المساء ، حين ترى الشمس
خياهاها الفضى فى مرآة الماء ، وحين تسكب على الحشائش طبقة من سائل
اللؤلؤ ، وحين يُخفى الظلام آثار العشاق الهارين ، قد قرّ عزمنا على أن
نسلل خارجين من أبواب أثينا .

هيرميا : وسألتقى بحبيبي ليساندر فى الغابة . . تلك الغابة التى كثيراً ما كنتُ أنا
وأنت نرقد فيها على فراش من الورود لتفرغ مكنون صدرينا ويكشف كل

منا للآخر عن أصرار قلبه . . عندئذ سنصرف أعيننا عن أثينا ، باحثين
عن أصدقاء جُدد ، وجماعات غريبة عنا . . وداعا إذن يا رفيقة الصبا ،
وصلّى من أجلنا ، وعسى أن يمكّنك الحظ السعيد من أن تظفري
بديميتريوس . . أما أنت يا ليساندر فلا تنس الموعد ، وعلينا أن نحول
بين أعيننا وبين طعام المحبين حتى نلتقى في منتصف ليلة الغد .

(تخرج)

ليساندر : سأفعل يا هيرميا . . وداعا يا هيلينا . وعسى أن يكون افتتاح ديميتريوس
بك في قدر افتتاحك به .

(يخرج)

هيلينا : ما أعظم التفاوت بين الناس في قدر سعادتهم ! إن أهل أثينا يرونني في
مثل جمال هيرميا . فهل أفادني ذلك وديميتريوس لا يرى ما يرون ، ولا
يعلم ما يعلمه الكافة إلاّ ؟ إنه يخطيء إذ أراه مفتونا بعينها ، وأنا
أخطيء إذ يراني الناس مفتونة بصفاته . . لا شك أن بمقدور الحب أن
يجعل من الأشياء الخاوية التافهة ضئيلة القيمة ، أشياء ثمينة ذات بهاء
ورونق . فالحب لا ينظر بالعين بل بالفؤاد ، ولذا صوّر الناس كيوبيد
المجتّح أعمى معصوب العينين . كذلك فإن العقل في الحب ينقصه
سداد الرأي ، وما معنى الجناحين مع فقدان البصر إلا التسرع الأحمق .
وما وُصف الحب بأنه طفل إلا لأنه كالطفل مخدوع في اختياره . وكما أن
الصبيّة الأوغاد يكذبون في لوههم ، فكذا يقتزن الحب بالكذب في كل
مكان . . لقد كان من دأب ديميتريوس قبل أن يرى هيرميا أن يطرني
بالعهود والوعود مقسما أنه لا يجب سوى . فما التقى ذلك المطر بالحرارة
التي بثتها فيه هيرميا ، حتى تبيّخر في الهواء . . سامضى فأخبرها بما تعتزمه
هيرميا الجميلة من فرار . ولا شك في أنه سيهرع في أثرها إلى الغابة ليلة
الغد . فإن شكرني على إخباري إياه ، فسأسعد بشكره رغم برودته
وجفافه وقلة جدواه . ويكفيني أنى سأنعم برؤيته ، طوال رحلته إلى
الغابة ورحلة عودته .

(تخرج)

الفصل الأول

المشهد الثانى

منزل كوينس فى أثينا

(يدخل عدد من العمال : كوينس ، وشنج ، وبوتوم ، وفلوت ،
وشناؤت وستار فلينج)

كوينس : هل اكتمل عددنا ؟

بوتوم : الأفضل أن تنادى عليهم مجتمعين^(١) ، فردًا فردًا ، وفق القائمة .

كوينس : هذه قائمة بأسماء جميع الرجال الذين اعتبرتهم أثينا بأسرها صالحين
للمثيل فى مسرحيتنا القصيرة التى سنعرضها أمام الدوق والدوقة ليلة
حفل زفافهما .

بوتوم : أذكر أولاً يا عزيزى كوينس شيئاً عن موضوع المسرحية ، ثم اقرأ علينا
أسماء الممثلين حتى نصل إلى نتيجة .

كوينس : نعم . . فأما مسرحيتنا فهى الكوميديا المأساوية المتعلقة بالنهاية المفجعة
لبيراموس وثيسبى .

بوتوم : أؤكد لكم أنها مسرحية ممتازة ومضحكة للغاية . والآن يا عزيزى بيتر

(١) يقصد : فرادى . وهذا هو المثل الأول من عدة أمثلة للإساءة بوتوم استعمال الألفاظ فى هذه
المسرحية .

كوينس عليك بالتداء على الممثلين وفق القائمة . . أرجوكم ألا تزدهوا حوله .

كوينس : وليجبنى كل من أنادى على اسمه . . . نيك بوتوم النّساج !

بوتوم : موجود ! أخبرنى أىّ دور سألعبه ثم ناد على بقية الأسماء .

كوينس : قد وقع الاختيار عليك يا نيك بوتوم لتمثيل دور بيراموس .

بوتوم : ومن هو بيراموس هذا ؟ عاشق أم طاغية ؟

كوينس : عاشق يقتل نفسه ، عظيم اللباقة فى عشق النساء .

بوتوم : يعنى هذا أن الدموع ستسيل من الأعين متى أُجيدَ التمثيل . فإن أنا

مثّلتُ الدورَ فليحرص المتفرجون على أعينهم ، حيث أنى أعتزم إثارة

عاصفة من البكاء بإظهار لوعتى فى الغرام . غير أنى فى الواقع كنت

أفضل أن أمثّل دور طاغية . . فالمؤكد أنى سأجيد دور هرقل^(١) ، أو

أىّ دور يتيح لى فرصة أن أصول وأن أجول وأن أصرخ وأن أهتف حتى

يهتز البنيان ويتصدّع :

الصخور الغاضبات

والضربات القاصمات

ستكسر الأقفال

وتحرّر الرجال

وسيسطع من بعيد

كوكبنا السعيد

فيعامل بازدراء

أقدارنا الحمقاء

ما رأيكم فى هذه البلاغة ؟ والآن نادِ على بقية الأسماء . . . إنها البلاغة

(١) يعنى هرقل بطل الأسطورة الإغريقية وأقوى الرجال .

الخليقة بهرقول ، الخليقة بطاغية . أما دور العاشق فدور أكثر رقة
ونعومة .

كوينس : فرانيس فلوت ، مصلح المنافع .

فلوت : موجود يا بيتر كوينس .

كوينس : أما أنت يا فلوت فستلعب دور ثيسبي .

فلوت : ومن هو ثيسبي هذا ؟ فارس متجول ؟

كوينس : هي السيدة التي سيقع بيراموس في غرامها .

فلوت : أرجوك ألا تسند إلى دورًا نسائيًا ، فلحيتي قد بدأت تنمو .

كوينس : لا بأس في هذا فإنك ستتردى قناعًا أثناء التمثيل . . ولكن عليك أن
ترقق من صوتك قدر الإمكان .

بوتوم : ما دمننا سنلبس أقمعة فلا لعب أنا دور ثيسبي أيضًا . سأتكلم بصوت

رقيق أجش : « آه يا ثيسبي ، يا ثيسبي ! » ، « أو اه يا بيراموس

ياحيبي . تعال إلى ثيسبي حبيبتك ومملكة فؤادك ! »

كوينس : لا ، لا . ستلعب أنت دور بيراموس ، وسيلعب فلوت دور ثيسبي .

بوتوم : حسنا إذن . . استمر .

كوينس : رويين ستار فلينج الحياط .

سترافلينج : موجود يا بيتر كوينس .

كوينس : ستلعب يا ستار فلينج دور والدة ثيسبي نوم شناوت السمكري .

شناوت : موجود يا بيتر كوينس .

كوينس : ستلعب أنت دور والد بيراموس . وسألعب أنا دور والد ثيسبي .

ويلعب سنج النجار دور الأسد . وهذا على ما آمل ، يكتمل بناء

المسرحية .

سنج : هل دور الأسد مكتوب ؟ إن كان مكتوبًا فأعطني إياه الآن ، فأنا بطيء

في الحفظ .

كوينس : يمكنك أن ترتجل الدور ، فهو مجرد زئير .
بوتسوم : إسمح لي أن ألعب أيضًا دور الأسد . سأزأر فيطرب الجمهور لزئيرى . .
سأزأر حتى يصبح الدوق : « دعوه يزأر مرة أخرى . دعوه يزأر مرة
أخرى » !

كوينس : ولكنك ستجعل زئيرك مرعبًا فتخيف به الدوقة وسائر السيدات ،
فيصرخن صراخًا هو كفيل بأن يقودنا جميعًا إلى حبل المشنقة .
الجميع : سيتسبب في شتقنا أجمعين .

بوتسوم : معكم الحق أيها الأصدقاء . فلو أننا أطرنا صواب السيدات ، لم يبق في
رؤوسهن عقل يحول بينهن وبين الأمر بشتقنا . غير أنى سأغير من صوتى
بدرجة رهيبة ، فأجعل زئيرى رقيقًا كهديل الحمام ، أو كزئير أئى بلبل من
البلابل .

كوينس : لن تلعب دورًا غير دور بيراموس . ودعنى أطمئنك إلى أن بيراموس هذا
رجل وسيم الوجه ، كامل الأوصاف كأئى من الرجال الذين نراهم في يوم
من أيام الصيف ، وسيد رائع من كافة الوجوه . ولهذا فإن عليك القيام
بدور بيراموس .

بوتسوم : حسنا ، سأقوم به إذن . . فأية لحية تليق بهذا الدور ؟

كوينس : أية لحية تختارها .

بوتسوم : سأؤدى الدور في لحية من اللحية فى مخزنك يكون لونها إما كلون القش ،
أو لون البرتقال ، أو لون الأرجوان الثابت ، أو لون العملة الفرنسية
الذهبية الصفراء .

كوينس : بعض هذه العملات الفرنسية التى تتحدث عنها لا شعر لها على
الإطلاق^(١) ، وبالتالي ستقوم بدورك وأنت حليق الوجه ! . . ولكن ،
ها هى أدواركم أيها السادة . . وإنى لأناشدكم ، وأرجوكم ، وأطالبيكم

(١) يعنى أن داء الزهري (ويسمى أيضًا بالداء الفرنسى) يتسبب فى سقوط الشعر .

بأن تحفظوها قبل مساء الغد ، وأن تقابلوني في غابة القصر التي هي على مسافة ميل خارج المدينة ، عند بزوغ القمر ، وهناك نتمرن على أداء المسرحية . ذلك أننا لو التقينا في المدينة فسيجتمع الناس حولنا للمشاهدة ويكتشفون خططنا . . وحتى ذلك الحين سأقوم بإعداد قائمة بما تحتاجه المسرحية من ملابس ومناظر . . أرجوكم ألا تخلفوا الميعاد .

بوتوم : بل سنلتقى ، وستمرن في جرأة وفي خيفة عن الأنظار^(١) . فابذلوا في حفظ الأدوار الجهد الخليل بطلب الكمال . . وداعا .

كوينس : عند شجرة بلوط الدوق نلتقى .

بوتوم : كفانا هذا . والعار لمن أخلف الميعاد .

(يخرجون)

(١) يقصد : « خفية عن الأنظار » .

الفصل الثانى

المشهد الأول

غابة قرب أثينا

(تدخل جنيّة من جانب ، وبك من جانب آخر)

بك : أراك أيتها الجنيّة تجولين . فإلى أين ؟

الجنيّة : فوق الجبال أجول وفوق الوديان

وعبر الأدغال وعبر الأشجار

وفوق الحدائق وفوق المزارع

وعبر النيران وعبر الأنهار

أجول وأجول في كل مكان

بأسرع مما يجول القمر في السماء

في خدمة ملكة الجنيات الحسناء

لأنثر الطلّ فوق الحشائش الخضراء

فأما السيقان الطويلة لزهر الربيع

فجنود الملكة . وأما ما فيها من بقع حمراء

فشارات تحملها معاطف الجند الصفراء

إنها الياقوت الذي تُنعم به الجنيات

ومنها ينبعث شدّى النباتات

سامضى فأبحث هنا عن بعض هذه السيقان

وأعلّق لؤلؤة في أذن كل منها فتزدان
وداعا فإني ذاهبة أيها الأحق الكسلان
واعلم أن الملكة وكافة الجن سيكونون هنا بعد ثوان .

بك : سيقم الملك هنا احتفالاً هذا المساء ،
فلتحذر الملكة من أن يكون بينهما لقاء .
فأويرون تائر غاضب أشد الغضب
لأنها سرت من أحد ملوك الهند صبيًا جميلًا له ،
لتجعله تابعًا من أتباعها . - إنه أجمل صبي سرقته .
وأويرون الغيور يريد أن يجعله من حرسه الخاص ،
ليجول له في الغابات والأحراش .
غير أنها تتمسك بالغلام ،
وتزيّن له رأسه بأكاليل من الزهر ،
حتى بات مصدر كل متعة لها .
والآن فإن الملكة والملك لا يلتقيان في بستان أو حقل ،
أو عند نافورة صافية تتلألأ فيها صورة نجوم الليل ،
إلا تجادلا وتشاجرا ، حتى لقد بدأ كافة أتباعهما من الجن
يتسلّلون من خوفهم داخل جوز البلوط ليختبئوا فيها .

الجنّة : إما أني قد أخطأت تماما في التعرف على شخصك ومظهرك ،
أو أنك في الحقيقة ذلك الجنى الخبيث الماكر
الذي يدعونه روبين جودفيلو .
ألسنت أنت الذي يدأب على إثارة الرعب في بنات القرى ،
ويسرق من الحليب قشده ،
ويندس أحيانا في المطاحن اليدوية ليعطل عملها ،

فيذهب جهد ربات البيوت اللاهئات هباء ؟
ألسنت أنت الذى تفسد الخميرة فى الجعة ،
وتضلّل سُراة الليل ثم تضحك إذ جعلتهم يضلّون الطريق ؟
أما أولئك الذى ينعنونك بالجنى الطريف ، أو بك اللطيف ،
فتساعدهم على أداء أعمالهم وتجلب الحظ لهم .
ألسنت أنت هو ؟

بك : هذا صحيح . فأنا الهائم المرح أثناء الليل ،
أما زح أويرون وأجعله يتسم ،
حين أخدع الحصان السمين الذى يتغذى على البقول ،
وأقلّد صوت مُهرته فيحسبني هي .
وأحيانا أدرس بنفسى فى شراب إمراة عجوز ،
متخذًا صورة سرطان مشوى ،
حتى إذا ما شربت من كأسها ففزتُ إلى شفيتها
فأريق النبيذ على لُغدها المتهلّل . .
وأحيانًا تريد العجوز أن تجلس لتقص على الجمع قصة حزينّة ،
فتتصوّرني مقعدًا ذا أرجل ثلاثة ،
حتى إذا ما تهيّأت للجلوس ترحزحتُ عن عجيزتها ،
فتهوى على الأرض صارخة « إلحقوني » ! وتبدأ فى السعال .
حينئذ ينفجر الجمع كله بالضحك وقد أمسكوا بجُنبهم ،
ويزداد مرحهم فيعطسون ويقسمون أنهم ما قضوا فى حياتهم ساعة
أكثر مرحًا من تلك الساعة .
ولكن لتفصحى الطريق أيتها الجنية ، فها هو أويرون قد أقبل .
الجنية : وها هي مولاتى قد أقبلت . . ليته ما جاء !
(يدخل أويرون وأتباعه من جانب ، وتيتانيا وأتباعها من جانب آخر)
أويرون : من سوء حظى أن أقابلك فى ضوء القمر ، أى تيتانيا المتغطرة !

تيتانيا : أهذا أنت يا أوبيرون الغيور ؟ لننصرف من هنا أيتها الجنيات ، فقد هجرْتُ فراشه وقاطعتُ صحبته .

أوبيرون : بل إبقى في مكانك أيتها المرأة العنيدة . أَلستُ زوجَكَ ؟

تيتانيا : لو كان ذلك لكنتُ إذن زوجتَكَ ! غير أنى أعلم جيداً أنك حين تسَلَلت من عالم الجن في صورة الراعى كورين ، كنت تقضى أياماً بطولها تعزف على ناي من بوص ، منشداً ألحان الغرام لمعشوقتك فيليدا (١) . . ولماذا عدتُ إلى هنا قادماً من أقصى سهول الهند ؟ تريدنى أن أخبركَ ؟ لأن الأمازونية المتوقبة ، عشقتك التى ترتدى حذاء القنص ، وتحارب وتقاتل ، هى الآن على وشك الزواج من ثيسوس ، وأتيت أنت لتبارك فراشها وتدعو لها بالرفاء والبنين .

أوبيرون : عار عليك يا تيتانيا ! كيف تجرؤين على تشويه علاقتى بهيبوليتا وأنت تعلمين جيداً أنى على علم بحبك لثيسوس ؟ ألم تمهدى له سبيل الحرب ليلاً من بيريجينيا التى اغتصبها ، وسبيل إخلاف وعوده لإيجليس الحسنة ، ولأريادنا وأنتيوبا (٢) ؟

تيتانيا : كلها أكاذيب لَفَقَتْهَا غيرتُكَ . . وما من مرة واحدة منذ بداية منتصف الصيف إجتمع فيها الجن على تل أو في وادٍ أو غابة أو مرج ، عند نافورة حجرية أو مستنقع أو ساحل بحر ، لنرقص في حلقات على صوت عزف الرياح ، إلا عَكَرتَ أنت صفو بهجتنا بشجاراتك . . ولهذا فإن الرياح وقد رأت أن عزفها لنا قد أصبح دون جدوى ، سعت إلى الانتقام بأن امتصّت من البحر سحاباتٍ مِلؤُها الأمراض وأطلقتها على الأرض ، فامتلات بيائها الأنهار بل والجداول الصغيرة وفاضت مياهها على الشُّطْطآن . . فإذا بالثور يحاول عبثاً أن يجرّ المحراث ، وإذا بالقائم بالحِثْ وقد ضاعَت جهوده سُدى ، وإذا سنابل القمح الخضراء تذبل قبل

(١) كورين وفيليدا : عاشقان من الرعاة في الأساطير الإغريقية .

(٢) بيريجينيا وإيجليس وأريادنا وأنتيوبا : نساء تحدث بلوتارك في « السير » عن علاقة ثيسوس بهن .

نُضجها ، وتذوى قبل أن تنبت لشبابها لحية . . الحقول الغارقة في الماء قد خلّت من قُطعان الماشية ، والغريان قد سمّنت بأكلها اللحم المريض من أجسام الخراف الميتة ، والملاعب قد غمرتها الأوحال ، والممرات المتعرجة عبر الحقول الخضراء قد إختفت وإندثرت باختفاء المارين فيها (١) .

الأدميون يتطلّعون عبثاً إلى قدوم الشتاء . وقد دفعهم اليأس إلى التخلّي عن استقبال المساء بإنشاد الأغاني والتراتيل ، وهو ما أغضب القمر الذى يتحكّم في الفيضان ، فإذا بوجهه وقد شحب ، وإذا هو يطلق المزيد من الأمطار التى تسببت في انتشار الإصابات بالبرد والسُّعال . وقد أذى هذا الطقس المتقلب إلى اضطراب نظام الفصول ، فإذا الورد القرمزى وقد كسى الصقيع أوراقه الناضرة ، وإذا جبين الشتاء البارد الأجرد وقد كَلّته باقة عطرة من ورد الصيف الجميل ، وكأنها من قبيل السخرية بفصول السنة . وها نحن نشهد تبادلاً بين فصول الربيع والصيف والخريف والغنى بالثمار والشتاء الغاضب في سباتها المعهودة ، حتى ما عاد البشر المذهولون بقادرين على التمييز بينها . وكل هذه الفوضى والشروء إنما ترجع إلى تشاحننا ونزاعنا . فنحن الأصل فيها إذن ونحن مصدرها .

أوبيرون : لتُصلحى الأمر الإذن ، فهو في وسعك . فما الداعى إلى منازعة تيتانيا لأوبيرون ؟ ما أريد منك غير صبي مسروق ليكون حاجباً لى .

تيتانيا : ليطمئن فؤادك إلى أنى لن أتخلّى عن هذا الصبي ولا في مقابل عالم الجن بأسره . . لقد كانت أمه من مُريدات طريقي ، وكثيراً ما جلسنا سوياً في الهند بالليل ، ننعّم بالهواء العَطِر ، ونتجاذب أطراف الحديث ، وعلى الرمال الصفراء لشاطئ البحر ، نراقب التجار على السفن التى تمخر

(١) في كل هذا الحديث إشارة إلى المتاعب والخسائر التى واجهها الإنجليز من جراء سوء الأحوال الجوية عام ١٥٩٤ ، وهو العام الذى يحتمل أن يكون شكسبير قد كتب فيه هذه المسرحية .

عباب الماء ، ونضحك حين نرى أشرعتها كالمرأة الحامل قد انتفخ بطنها
بمعا شرتها الريح العابثة . وقد كانت في ذلك الوقت تحمل في رحمها
الغلام الذى تتحدث عنه ، فكأنت تسير على الرمال تقلد بمشيئها
الرشيقة حركة السفينة العائمة ، وتأتى إلى جهاديا صغيرة ثم تعود إلى
التجول ، تماما كالسفن التى تعود بعد كل رحلة ببضائع ثمينة
غير أنها للأسف ، وهى غير المخلدة ، ماتت وهى تلد ابنها ، فأليت
على نفسى أن أنهض بتربية الغلام ورعايته من أجل أمه ، وآليت على
نفسى ألا أتخل عنه .

أوبيرون : وكم تنوين البقاء في هذه الغاية ؟

تيتانيسا : ربما بقيت فيها إلى ما بعد يوم زفاف ثيسوس . فإن كان لديك من الصبر
والعزم على الاشتراك في رقصنا ومشاهدة احتفالنا في ضوء القمر ، فهيا
معنا . وإلا فلتجنبنى وسأتجنّب بدورى أماكن تواجدك .

أوبيرون : أعطنى الغلام وسأمضى معك .

تيتانيسا : لا ولو وضعت في يمينى عالم الجن بأسره . . لنمض أيتها الجنّيات . . فلا
شك في أن خلافى معه سيحتدم لو أنى أطلت البقاء لبضع لحظات .

(تخرج تيتانيسا وأتباعها)

أوبيرون : إذهبى إذن في سبيك . . غير أنك لن تتركي هذه الأبكة قبل أن أنتقم
من إهانتك إياى . . . هلمّ إلى يا صديقى بك . . أتذكر يوما جلستُ
فيه على جبل يمتد إلى البحر ، وسمعت حورية الماء الجالسة على ظهر
الدلافين تغنى أغنية رقيقة عذبة ، حتى لقد هدأت الأمواج الصاخبة
بتأثير غنائها ، وتهاوت بعض النجوم من مدارها مسرعة إليها لتسمع
إنشادها ؟

بك : أذكر ذلك .

أوبيرون : رأيت يومها كيوييد (وإن لم تتمكن أنت من رؤيته) يطير بسلاحه بين

الأرض والقمر البارد ، ويصوّب سهمه صوب عذراء جميلة ^(١) تعلى
عرشاً من عروش الغرب ، ويطلق فى رشاقة من قوسه سهم الغرام ،
وكانها يهدف إلى إختراق مائة ألف من قلوب البشر . . غير أن سهم
الغلام كيوييد انطفأت ناره فى أشعة القمر الطاهرة ^(٢) ، فتمكّنت الملكة
التي نذرت نفسها لحياة العزوبة من أن تمضى قدماً ، غارقة فى تأملات
العذارى ، وقد نجت من شرك الغرام .

غير أنى لاحظت وقتئذ أن سهم كيوييد وقع على زهرة صغيرة تنمو فى
الغرب ، كانت من قبل بيضاء فى لون الحليب ، ثم أضحت أرجوانية
بتأثير جراح الهوى . . العذارى يطلقن عليها اسم « حُبّ الكسالى » . .
إتنى بتلك الزهرة التي أريتك إياها فى الماضى . . إن عُصارتها متى
وُضعت على جفون النائمين تجعلهم (ذكوراً كانوا أو إناثاً) يهيمن بحب
أول كائن حى يروونه عند إستيقاظهم . . أحضر لى هذه الزهرة ، وعُد إلى
بها بأسرع مما يقطع الحوت به فوسخاً فى الماء .

بك : بوسعى أن أدور حول الأرض فى أربعين دقيقة ^(٣) .
(يخرج)

أوبيرون : حتى إذا ما حصلت على عصارة تلك الزهرة ، فسأنتظر فرصة رقاد تيتانيا
للنوم ، فأضع قطرات منها فى عينيها . . فإن هى إستيقظت ونظرت
حولها فستقع فى غرام أول كائن تراه ، سواء كان أسداً ، أو دباً ، أو ذئباً
أو ثوراً ، أو قرداً صغيراً متطفلاً ، أو قرداً كبيراً نشطاً ، وتتبعه أينما
ذهب . . إن بوسعى أن أزيل مفعول تلك العصارة باستخدام عصارة
زهرة أخرى ، غير أنى لن أزيله عن عينيها إلا بعد أن تتنازل لى عن

(١) يقصد الملكة إليزابيث الأولى التي رفضت كل عروض الزواج منها ، وقضت حياتها دونه . ومن
المحتمل أن تكون الملكة قد حضرت أول عرض لهذه المسرحية .

(٢) إلهة القمر ، ديانا ، هى فى نفس الوقت إلهة العقّة .

(٣) تمكّن الإنسان من ذلك ، ودون لجوء إلى السحر ، بعد ثلاثمائة وسبعين عاماً من وقت كتابة
المسرحية .

غلامها . . . ولكن ، من ذا القادم هنا ؟ إننى جنى لا تدركه الأبصار ،
ويوسعى أن أبقي وأسترق السمع إلى الحديث .
(يدخل ديميتريوس تتبعه هيلينا)

ديميتريوس : أرحوك ألا تتبعينى ، فأنا لا أحبك . . أين ليساندر وهيرميا الحسناء ؟
فأما الأول فسأقتله ، وأما الثانية فتقتلنى . . ذكرت لى أنها تسلا
هارين إلى هذه الغابة . . وها أنا ذا وقد أصابتنى جنة هذه الجنة إذ قد
فشلت فى العثور على حبيبتى هيرميا . . أتركينى وشأنى ولا تتبعينى .

هيلينا : إنها أنت كحجر المغناطيس الصلْد ، تجذبنى دوما إليك . غير أنك
لا تجذب الحديد ، فقلبى كالقولاذ فى صدق هواه . . تحلّ عن قدرتك
على اجتذابك لى ، وستحلّى عنى القدرة على متابعتك .

ديميتريوس : هل أغريك ؟ هل أتودّد إليك فى حديثى ؟ أم أنى أخبرك بأصرح
العبارات أنى لا أحبك ولا أستطيع أن أحبك ؟

هيلينا : غير أنك حتى بهذا تزيد من نار حبى لك التهابا . . إننى بمثابة كلبة
لك ، كلما زدت ضربا لها يا ديميتريوس ، زاد تعلقها الدليل بك . .
عاملى إذن معاملتك لكلبك : اركلنى ، اضربنى ، إهملنى ،
أضغننى ، ولكن لتأذن لى فقط ، رغم هوان شأنى ، أن أتبعك . .
فأتى محلّ من قلبك هو أسوأ من ذلك الذى أنا شدة أن تحلنى فيه ،
وهو أن تعاملنى معاملتك لكلبك ، وأنا مع ذلك راضية به كل الرضا .

ديميتريوس : لا تخاطرى بإثارة المزيد من كراهيتى لك ، فمجرد وقوع بصرى عليك
يؤلمنى .

هيلينا : أما أنا فيؤلمنى غيابك عن بصرى .

ديميتريوس : إنك إنما تعرّضين سمعتك للضباع بمغادرتك المدينة ، ووضع نفسك
رهن إشارة رجل لا يحبك ، وتعرض شرفك الغالى لمخاطر الليل
والمكان المهجور .

هيلينا : لا مخاطر تهددني مع رجل شريف ، ولا ليل في عيني متى رأيت وجهك عيني . لهذا فإنني لا أحسب أن الليل قد إكتفنى ، ولا أحسب هذه الغابة بعيدة عن الدنيا أو خالية من الناس ، لأنك الدنيا بأسرها في عيني وكل من أريده من الناس . فكيف يمكن إذن أن يقال إنى هنا وحدى والدنيا بأسرها هنا تنظر إلى ؟

ديميتريوس : سأعدو فراراً منك وأخفى نفسى في الأحراش ، تاركاً إياك تحت رحمة وحوش الغابة .

هيلينا : ما من وحش له قلبٌ في قساوة قلبك . . فلتعض هارباً متى شئت حتى تنعكس الأدوار ، فإذا بأبو لو يهرب ودافى تعدو في أثره ، وإذا الحماة تطارد النسر ، وإذا الأيل الوديع يعدو لإصطياد النمر . . فما جدوى السرعة إذن متى هربت البسالة من مطاردة الجبن ؟

ديميتريوس : لن أبقي هنا لأستمع إلى أسئلتك . . دعيني أذهب ، وإلا فصدّقي حين أقول لك إنك لو مضيت في أثرى فسألحق بك الأذى في هذه الغابة .

هيلينا : إنك تُلحق بى الأذى في المعبد ، وفي المدينة ، وفي الحقل . . عار عليك ياديميتريوس ! إذلاً لك لى يجعلنى وصمة في جبين النساء . فالنساء لا يملكن ما يملكه الرجال من القدرة على الدخول في معركة من أجل الظفر بالمحبيب وتحقيق الآمال . خُلقنا لكي نتودد الرجال إلينا لا لكي نتودد إلى الرجال .

(يخرج ديميتريوس)

سأتبعك حتى أخلق جنّة من جحيم أباه ، بأن ألقى مصرعى على يد امرئ أهواه .

(تخرج)

أويرون : إلى الملتقى أيتها الفتاة . وأعدك بأنه قبل أن يبرح هذه الأيكة وقبل طلوع النهار، سيكون هو المطارد لك وأنت اللالذة بالفرار . .

(يدخل بك)

مرحبًا بالحوال . . هل أتيتني بالزهرة ؟

بك : ها هي ذى .

أويسرون : أعطنى إياها . . ثمة ضَمَّةٌ جدولٍ أعرفها ينبت فيها الزعر البرى
والورود وزهر البنفسج الناعس ، وتظللها أشجار كثيفة غنية
بالرحيق ، ونباتات المسك العطرة والنسرين . . هناك تنام تيتانيا بعض
ساعات الليل مفترشة الأزهار وقد أتهكها الرقص واللهو . . وهناك
أيضًا تطرح الثعابين عن أجسامها جلودها زاهية الألوان ، كل منها
يكفى لصنع عباءة لجنّية . . سأضع بضع قطرات من العصارة فى
عينها ، فإذا هى وقد راودتها أبشع الأوهام . . .
خذ أنت أيضًا بضع قطرات معك ، وابحث فى هذه الأيكة عن سيدة
أثينية حسناء تهيم بحب فتى يمقتها . ضع قطرات من العصارة على
عينيه ، وتأكد من أن السيدة هى أول من يراه حين يستيقظ من
نومه . . ستعرف على الرجل من ثيابه الأثينية التى يرتديها . . ولكن
لتحرص على أن يكون عند إستيقاظه أكثر هياما بها منها به . ثم
فلتقابلنى قبل أول صباح للديكة .

بك : ليطمئن قلب مولاي ، فسيؤدى خادمك كل ما أمرته به .

(يخرجان)

الفصل الثانى

المشهد الثانى موقع آخر بالغابة (تدخل تيتانيا وأتباعها)

تيتانيا : والآن إلى رقصة دائرية وأغنية من أغاني الجن ، تؤدونها فى ثلث دقيقة
ثم تصرفون ، البعض ليقتل اليرقات التى تتغذى على أوراق نبات
المسك ، والبعض ليحارب الخفافيش من أجل الحصول على أجنتها
الجلدية حتى نصنع منها المعاطف لصغار الجن ، والبعض ليردّ عنا
البوم المزعج الذى يصوت بالليل ويراقب فى عجب لهونا وتسليتنا . .
غنوا لى الآن أغنية حتى أنام ، ثم فليمض كل إلى عمله بينما أنال
قسطا من الراحة .

(الجنّيات تغنّين)

الجنّية الأولى : أيتها الثعابين مشقوقة اللسان ، أيتها الأفاعى الرقطاء ،
وأنت أيتها القنافذ الشائكة ، لا تظهرى هذا المساء ،
ويا سمندل الماء ، وأنت أيتها العظاية العمياء ،
لا نريد منكم شرّاً أو فعلة خرقاء ،
ولياكم جميعاً أن تقرّبوا مليكة الجن الحسناء .

الجميع : البلابل تشاركنا فى الغناء
حتى تنام مليكتنا الحسناء :

نَنْتَهُ هُوَ ، نَنْتَهُ هُوَ ،
نَنْتَهُ هُوَ ، نَنْتَهُ هُوَ ،
لا ضرر ولا سحر ولا تعويذة
تفسد على مولاتنا نومتها اللذيذة
فانعمى إذن بليلة سعيدة
على أنغام هذه التَّهْوِيْدَة .

الجنية الثانية : أيتها العناكب لا تنسجى شباكك هنا
ولا تقربى بأرجلك الطويلة مكاننا
وابتعدى أيتها الخنافس السوداء عن هذا الموقع
فنحن لا نريد أذى من حشرة أو قوقع .

الجميع : البلابل تشاركنا فى الغناء
حتى تنام مليكتنا الحسنة
نَنْتَهُ هُوَ ، نَنْتَهُ هُوَ ،
نَنْتَهُ هُوَ ، نَنْتَهُ هُوَ ،
لا ضرر ولا سحر ولا تعويذة
تفسد على مولاتنا نومتها اللذيذة
فانعمى إذن بليلة سعيدة
على أنغام هذه التَّهْوِيْدَة .

الجنية الأولى : كل شىء على ما يرام ، فلننصرف الآن
ولتبقى إحدانا لحراسة المكان .

(تخرج الجنيات وقد نامت تيتانيا)

(يدخل أوبيرون فيضع عصارة الزهرة على جفניה)

أوبيرون : أول ما تريه حين تستيقظين
ستهوينه وتعشقين
ومن لواعج حبه تعذبين .
فسواء كان سنورا أو قطا أو فهدا

أو دُبًّا من الدببة أو فردًا
أو خنزيرًا برّيا خشن الشعر دميًّا
فسترينه وقت استيقاظك حبيبا وسيا .
فلا تستيقظي إذن من نومتك
إلا وشيء بشعٌ قبالتك .

(يخرج)

(يدخل ليساندر وهيرميا)

ليساندر : لا شك يا حبيبتي أن التجوال بالغابة قد أنك قواك . والحقيقة أنى قد
نسيت الطريق إلى المكان الذى تقصده . فلنسترح إن شئت يا هيرميا
بعض الوقت .

هيرميا : لنسترح إذن يا ليساندر . فلتبحث لنفسك عن فراش . أما عنى فسنأرقد
على هذه الضفة هنا .

ليساندر : كومة من العشب تصلح وسادة واحدة لنا معا . . قلب واحد ، وفراش
واحد ، وصدراَن بهما حب حقيقى واحد .

هيرميا : أرجوك يا ليساندر ، من أجلى يا حبيبى ، أن ترقد على مسافة منى ليست
بهذا القرب .

ليساندر : لا تشكى يا حبيبتي فى سلامة نواياى ، فما مبعثها إلا حبنا المتبادل .
وحين يتحادث المحبون ، فكل ما يقولونه يوجّه العشق مجراه . . وما
عنيت إلا أننا وقد ارتبط قلبانا برباط الحب ، قد صار فى جوفينا قلب
واحد . صدراَن قد ارتبطا بعهد واحد ، فهما إذن صدراَن وحب حقيقى
واحد . فلا تحولى إذن بينى وبين الرقود إلى جوارك ، فالهناء يُجانبينى إن لم
أنم بجانبك .

هيرميا : جميلة تلك الألفاظ التى تأتى بها فى حديثك يا ليساندر . وما هيرميا بالتى
تفتقر إلى مشاعر الود والوفاء ، بحيث تقبل أن يُجانبك الهناء . غير أنى
أرجوك يا صديقى الرقيق ، من أجل حبنا ودواعى الحياء ، أن تختار

لرقادك مكاناً أبعد . فمثل هذا التباعد ، كما يقولون ، جدير بالعازب
الفاضل والعذراء . . . فارقده بعيداً إذن ، وطابت ليلتك يا أعزّ صديق .
وعسى ألا يتغير حبك لي ما دمت على قيد الحياة .

ليساندر : وأنا أقول « آمين » لهذا الدعاء . وعسى أن تنتهي حياتي إن خلا قلبي
من الوفاء . . . هنا إذن سيكون فراشي ، وليجلب النوم لك الراحة
بعد العناء .

هيرميس : ومتى لمن تمنى لي الراحة نفس الدعاء .

(ينامان في ركنين متقابلين من المسرح)

(يدخل بك)

بـك : مضيتُ أبحث في الغابة فلم أعرثر على أثني واحد أضع في عينيه
عصارة الزهرة التي تملأ القلب بالهوى . . لا شيء غير الليل
والسكون . . . من هذا ؟ إنه يرتدى ملابس الأثينيين . فهو إذن ذلك
الذي تحدث مولاي عنه وعن ازدراجه للفتاة الأثينية . . وها هي الفتاة
تغطّ في النوم على أرض رطبة قلدة . . المسكينة لا تجرؤ على الرقاد قرب
حيبيها الذي لا يجبها ويفتقر إلى الأدب . ففي عينيك إذن أيها الرجل
النذل أضع هذه العصارة السحرية قوية المفعول . . وإنى لو اتق أنك
متى استيقظت سيحول الحب بين النوم وجفونك دوماً بعد ذلك .
فلتستيقظ إذن بعد انصرافي من هذا المكان ، فعلى أن أقابل
أوبيرون الآن .

(يخرج)

(يدخل ديميتريوس وهيلينا تعدو في أثره)

هيلينا : توقّف يا ديميتريوس أرجوك ، واقتلني إذا شئت .

ديميتريوس : وأنا أملك بالانصراف وألا تزعجيني .

هيلينا : وتركني وحدي في الظلام ؟ أتوسل إليك ألا تفعل .

ديميتريوس : أحذرك وأذكرك . . لتبقى هنا وسأمضى وحدى .

(يخرج)

هيلينا : قد فقدت أنفاسى فى هذه المطاردة الحمقاء . وكلما زادت توسلاتى زاد ازوراره عنى بوجهه . . ما أسعدك يا هيرميا حيثما كنت الآن ! ما أسعدها بعينها المباركتين الفاتتين ! من أين لهاتين العينين بهذا البريق؟ لو كان بفضل ما تسكبه العينان من دموع ، فقد سكبت عيناى من الدموع أضعاف ما سكبه عيناها . . كلا . كلا . فالحقيقة أنى فى مثل دمامة الدببة . . . الوحوش تفر أمامى فى فزع حين تقابلنى . . فلا غرو إذن أن يحدو ديميتريوس حذو الوحوش وأن يهرب منى . . أية مرآة خبيثة منافقة تلك التى نظرت فيها فجعلتنى أقارن بين عيني وعينى هيرميا الجميلتين؟ . . ولكن . . من هذا الراقده هنا ؟ ليساندر ! على الأرض ! ميتا أم نائما ؟ لاأرى أثرا لدماء أو جراح . . ليساندر ! إن كنت حيّا ياسيدى فاستيقظ .

ليساندر : (يهب واقفاً) بل وأخوض النار من أجلك يا هيلينا . . لقد حبّبتك الطبيعة يا هيلينا بشفاافية تتيح لى أن أرى القلب فى صدرك . . أين ديميتريوس ؟ هذا الإسم المقيت لأمريء خليق بأن أذبحه بسيفى .

هيلينا : لا تتكلم هكذا ياليساندر ، لا تتكلم على هذا النحو . فما من غضاضة فى حبه لهرميا . (يا إلهى ! هل أقول ما من غضاضة ؟) غير أن هيرميا لا تزال على حبيها لك ، فاقنع بذلك .

ليساندر : ماذا ؟ أفنع بهيرميا ؟ لا يا هيلينا . إننى نادى على الوقت الممل الذى قضيته معها . . ليست هيرميا من أحب ، وإنما أحب هيلينا . وما أنت بالمقارنة بها إلا كالحمامة بالمقارنة بالغراب . . إن العقل هو الذى يوجه إرادة البشر ، وعقلى يوضح لى أنك أفضل منها بكثير . وكما أن النباتات النامية لا تثتج ثمرا إلا فى فصل معين ، فكذلك كنت أنا ؛ فتى غريزا لم ينضج ولم يحسن التفكير حتى اكتملت رجولته . فأما وقد

نضج العقل منى فقد أخذ بعنان إرادتى ووجهها وجهة عينيك حتى أقرأ
فيهما أنه مامن سعادة في الحب إلا معك .

هيلينا : هل قضت الأقدار أيضًا أن أتعرض إلى هذه السخرية القاسية ؟ ماذا
جئت حتى أستحق منك مثل هذا التهكم ؟ ألا يكفينى أننى لم ألبس
أبدًا ، ولن ألبس أبدًا ، عطفًا من ديميتريوس ، فإذا أنت تُقبل لتسخر
من عجزى عن الظفر بقلبه ؟ قسًا إنك تهيننى ، أجل ، تهيننى ،
بتظاهرك ساخرًا بأنك تحببى . . ولكن ، وداعا . غير أنى أعترف بأنى
كنت أحسبك فى الماضى رجلًا كريمًا دمث الخلق . . ألا ما أتعس المرأة
التي يرفضها من تهواه ، ثم يأتى آخر ليسخر منها لهذا السبب !
(تخرج)

ليساندر : إنها لم تر هيرميا . . فلتظلى يا هيرميا فى نومك ، ولا تقربى ليساندر بعد
الآن . فكما أن الإفراط فى تناول الطعام الشهى يؤدى بنا إلى كراهة رؤيته ،
وكما أن تحول المرء إلى عقيدة جديدة يجعله كارهاً للقديمة التى خدعته
زمنًا ، فكذا قد تحول حبيبى لك يا هيرميا إلى كراهية . . وسأكرس من الآن
كل قواى وحبى وجهدى لهيلينا ، حتى أكون فارسها وتابعها الوفى .
(يخرج)

هيرميا : النجدة يا ليساندر ، النجدة ! ساعدنى فى التخلص من هذه الحية التى
زحفت إلى صدرى . . آه ! ما أبشعه من حلم ذلك الذى رأيته ! انظر
يا ليساندر كيف يرتعد جسدى فَرَقًا . . رأيت فى منامى حية تنهش قلبى
نهشًا وتسلبنى إياه ، وأنت جالس تراقبها وتبتسم ليساندر !
أأنت هنا ؟ (تنادى) ليساندر ! سيدى ! ألا تسمع ندائى ؟ أتركت
المكان ؟ لا صوت ؟ لا كلمة ؟ واضيعتى ! أين أنت ؟ كلمنى إن كنت
تسمعنى . كلمنى بحق حبك إياى ! يكاد يُغشى على من الخوف . .
لأرد ؟ فُلست إذن فى مكان قريب . فلما أن أجلك للتو أو أسلم نفسى
لموت رهيب .

(تخرج)

الفصل الثالث

الفصل الثالث

المشهد الأول فى الغابة (يدخل العمال)

بوتوم : هل اكتمل جَمْعُنا ؟

كوينس : كل شىء على ما يرام . . هنا مكان مناسب جدًا للتمرين على أداء تمثيلتنا . ستكون هذه البقعة الخضراء مسرحنا ، وخلف هذه الشجيرة كثيفة الأغصان غرفة ملابسنا . وسنمثلها الآن كما سنمثلها أمام الدوق .

بوتوم : بيتركوينس !

كوينس : ماذا تريد يا صديقى بوتوم ؟

بوتوم : هناك أشياء فى هذه الكوميديا عن بيراموس وثيسبى سيستاء منها البعض . أولاً : على بيراموس أن يستل سيفاً ليقتل به نفسه ، وهو أمر لا تستسيغه النساء . فما جوابك على هذا ؟

سناوت : هذا حق . قسماً إنه لأمر مخيف .

ستارفلينج : أظن من الأفضل أن نحذف من المسرحية كل أعمال القتل .

بوتوم : كلا بكل تأكيد ، فعندى حل طيب لهذه المشكلة ، وهى أن تكتبوا لى افتتاحية ألقها ، تقولون فيها إننا لن نؤذى بسيفونا أحداً ، وأن بيراموس

لن يُقتل في واقع الأمر ، وإنما هو مجرد تمثيل . ولزيادة الإطمئنان ،
نخبرهم أنني - أي بيراموس - لست في الحقيقة بيراموس ، بل بوتوم
النساج . . فمن شأن هذا أن يطمئنهم ويزيل الخوف عنهم .

كوينس : حسنا ، سنكتب مثل هذه الافتتاحية في صورة قصيدة ، بيت من ثمانية
مقاطع يليه بيت من ستة مقاطع .

بوتوم : لا . أضف مقطعين ، بحيث يلي البيت من ثمانية مقاطع بيت من ثمانية
مقاطع .

سناوت : ألن ترتاع السيدات لرؤية الأسد ؟

ستارفلينج : سرتعن بكل تأكيد .

بوتوم : أيها السادة ، فكروا جيدًا في هذا الأمر . . أن نحضر أسدًا - لا سمح
الله - إلى جَمْع فيه نساء ، أمر بالغ الشناعة . فما هناك بين الدواجن
المتوحشة ما هو أشد افتراسًا من الأسد الحي . وعلينا أن نأخذ هذا في
الاعتبار .

سناوت : علينا إذن أن نكتب افتتاحية أخرى نقول فيها إنه ليس في الحقيقة أسدًا .
بوتوم : بل أكثر من ذلك . علينا أن نذكر سلفًا اسم الذي سيمثل دور الأسد ،
وعليه أن يكشف عن نصف وجهه أعلى رقبة الأسد ، وأن يتكلم هو
نفسه من داخله ويقول أشياء من هذا القليب ^(١) : « أيتها السيدات ،
أو « أيتها السيدات الجميلات ، أريدكن أن » ، أو « أناشدكن
أن » ، أو « أتوسل إليكن ألا تحفن ولا ترتعشن . حياتي فداؤكن . فإن
كنتن قد ظننتن أنني أسد حقيقي ، فأني آسف . . كلا . لست
بالأسد ، وإنما أنا بشر كسائر البشر » . . وعندئذ يذكر اسمه ويخبرهن
صراحة بأنه سنَج النجار .

كوينس : وهو كذلك . لنفعل ما ذكرت . . غير أن هناك صعوبتين : الأولى هي

(١) معنى : من هذا القليل .

كيفية إدخال ضوء القمر إلى القاعة . فلقاء بيراموس وثيسبي كما تعلمون يتم في ضوء القمر .

سناوت : هل يسطع القمر في الليلة التي سنقدم فيها تمثيليتنا ؟
بوتوم : أحضروا تقويماً . أحضروا تقويماً وانظروا فيه ما إذا كان القمر سيظهر في تلك الليلة .

(يخرج كوينس تقويماً من حقيته وينظر فيه)

كوينس : نعم ، سيظهر في تلك الليلة .

بوتوم : حسناً . بوسعكم إذن أن تفتحوا جزءاً من نافذة القاعة الكبيرة التي نمثل فيها ، ثم يسطع نور القمر من خلال هذه الفتحة .

كوينس : أو أن يدخل شخص يحمل عصياً^(١) وقنديلاً فيقول إنه قد أتى ليمثل ضوء القمر . . وهناك صعوبة ثانية ، وهي ضرورة إقامة حائط في القاعة الكبيرة . . فالقصة تقول إن بيراموس وثيسبي كانا يتحادثان عبر شق في حائط .

سناوت : لن يسمحوا أبداً بإقامة حائط في القاعة . . ما رأيك يا بوتوم ؟

بوتوم : يقوم شخص ما بتمثيل الحائط ، وندهنه ببعض الجص أو الطين والقش أو تخشينية الطلاء ، حتى يبدو كالحائط ، ثم يفرد أصابعه هكذا ، ويتهامس بيراموس وثيسبي من خلال انفراج الأصابع .

كوينس : إن أمكن ذلك فكل شيء إذن على ما يرام . . هيا اجلسوا جميعاً ، كل فرد منكم ، لتمرّن على الأدوار . . لتبدأ أنت يا بيراموس حتى إذا ما فرغت من حديثك توجهت إلى غرفة الملابس خلف الشجرة ، وكذا فليفعل كل منكم وفقاً لدوره .

(يدخل بك)

(١) إشارة إلى الاعتقاد الشائع آنذاك بأن إنسان القمر يحمل عصياً ويتبعه كلب .

بك : من هؤلاء الأجلاف الذين جاءوا يختالون هنا بالقرب من فراش مليكة
الجن ؟ يعدّون لتمثيل مسرحية ؟ سأجلس فأستمع ، وربما اشتركت أيضًا
في التمثيل إن وجدت داعيًا إلى الاشتراك .

كوينس : لتبدأ بالحديث يا بيراموس ، وتقدّمى يا ثيسبى .

بيراموس : ثيسبى ، إن الأزهار الجميلة ذات رائحة خطيرة

كوينس : عطرة ، عطرة !

بيراموس : ذات رائحة عطرة كأنفاسك يا حبيبتى ثيسبى العزيزة . . ولكن ، ما
هذا ؟ أسمع صوتًا ! انتظري هنا لحظة وسأعود إليك بعد قليل .

(يخرج)

بك : ذاك أغرب تشخيص رأيته هنا للدور بيراموس !

(يخرج)

ثيسبى : أجااء دورى الآن ؟

كوينس : نعم ، نعم . لفهم أنه لم يخرج إلا لأنه سمع جلبةً ، فذهب يستطلع
الخبر ثم يعود .

ثيسبى : أى بيراموس الوسيم ، يا ذا البشرة البيضاء كزهرة السوسن ، فى لون الورد
البرية الحمراء على ساقها الباسقة ، أيها الفتى المقدام ، أيها اليهودى
الجميل ، أصيل كأتى حصان أصيل ، لا تكلّ ولا تمّل . . سأقابلك
يا بيراموس عند مقبرة نينى .

كوينس : عند مقبرة نينوس يا رجل ! ولكن محل هذه الجملة هو فيها بعد عندما
تجيب على سؤال بيراموس . . إنك تتلو دورك كله دفعة واحدة بالإضافة
إلى الإرشادات المسرحية ! (ينادى) أدخل يا بيراموس فقد جاء دورك .
كان ينبغى أن تدخل بعد جملة « لا تكلّ ولا تمّل » .

ثيسبى : أصيل كأتى حصان أصيل ، لا تكل ولا تمّل .

(يدخل بوتوم لابسا رأس جحش يتبعه بئك)

بيراموس : إن كنتُ جيلًا يا نيسبي فأنا ملك بديك .
كوينس : يا إلهي ! ما أبشع منظره وأغربه ! . قد سحرتنا الجن يا سادة . فلنصل
ولنهرب من هذا المكان . الغوث ! الغوث !
(يلوذ العمال بالفرار)

بك : سأتابعكم وأجعلكم تضلّون الطريق . . سأقودكم عبر المستنقعات
والأدغال والأكبات والأشجار ، وسأبدو في أعينكم تارة في صورة
حصان ، وتارة في صورة كلب ، وتارة في صورة خنزير ، وتارة في هيئة
دبّ لا رأس له ، وتارة في هيئة النار ، وسأصهل وأنبج وأنخر وأزار
وأحترق ، صهيل الفرس ونباح الكلب ونخر الخنزير وزئير الدبة واحتراق
النار ، في كل مكان تكونون فيه .
(يخرج)

بوتوم : لماذا يفرون ؟ إنها للدناءة منهم أن يُخيفوني على هذا النحو .
(يدخل سناوت)

سناوت : آه يا بوتوم ! لقد تغيّر شكلك ! ما هذا الذي أراه قد حلّ مكان رأسك ؟
بوتوم : تسألني ما الذي تراه ؟ ربما كنت ترى رأس الجحش الذي هو أنت !
(يخرج سناوت)

(يدخل كوينس)
كوينس : مسكين يا بوتوم يا مسكين ! لقد مسخوك .
(يخرج)

بوتوم : قد فهمتُ قصدهم الخبيث . . يظنونني حمارًا ويريدون إخافتني إن
أمكنهم ذلك . غير أنني لن أترجّح عن هذه البقعة مهما فعلوا .
سأتمشى هنا جيئةً وذهابًا ، وسأغنى حتى يسمعونني ويفهموا أنني غير
خائف :

طائر الشُّخْرُور ، أسود الريش
بمنقاره بديع الألوان ،

والصَّغُو الصغير ، بريشه القصير

وطائر الدُّج عذب الألحان

تيتانيا : أتى ملاك هذا الذى يوقظنى ويدعونى إلى القيام من فراشى الوردى ؟

بوتوم : العصفور وطائر الدُّورى والقُبَّرة

وطائر الوقواق الرمدى بسيط الأنغام

بأغانيه التى يسمعها الأنام

دون أن يجرءوا على الاعتراض

صحيح . إذ من الذى بلغ به الغباء حدَّ الدخول فى جدل مع طائر غبى

كالوقواق ؟ ومن يوسعه أن يُكذِّب طائراً ولو ظل ساعاتٍ يردّد صيحته

«كوكو . . كوكو» ؟^(١)

تيتانيا : أتوسّل إليك أيها الكائن الفانى الرقيق أن تغنى مرة أخرى . فصوتك

يفتننى كما تفتننى هيئتك الجميلة . وقد سحرنى جمالُك لدرجة أنى صرت

مضطرة إلى أن أبوح وأقسم لك أنى قد وقعتُ فى غرامك من أول نظرة

إليك .

بوتوم : إن كان غراماً يا سيدتى فاسمحي لى أن أسالك عن دواعيه . . ومع ذلك

فالواجب أن أعترف بأن العقل والحب نادراً ما يجتمعان فى هذه الأيام .

إنه لمن المؤسف أن نرى أناساً عقلاء يهجرون الحكمة عند اختيار من

يجبون . . ومع ذلك فبوسعى أن أكون خفيف الظل وقتما يحلو ذلك لى .

تيتانيا : إنك حكيم بقدر ما أنت جميل .

بوتوم : لا هذا ولا ذاك . ومع ذلك فإن كان لى عقل يهدينى سبيل الخروج من

هذه الغابة فسأكون مديناً له بهذا .

(١) هنا تلاعب بلفظتى Cuckoo (الوقواق) ، Cuckold (الدَّيُوث ، أو زوج المرأة الزانية) .

والاعتراض هنا (أو التكلّيب) يعنى نفى المستمع إلى إنشاد الوقواق عن نفسه صفة الدَّيُوث .

تيتانيــــــــــــــــا : فَلَنتَسْ فكرة الخروج من هذه الغابة . فأنت باقى هنا أردت ذلك أم لم ترد . . . إننى كائن غير عادى ، له وزنه وهيبته ، وفى مقدورى أن أتحكم كما أشاء فى جو الصيف . . وإذ أنى أحبك فلتذهب معى ، وسأجعل من الجن خدماً لك ، يأتون لك بالجواهر من أعماق البحار ، ويغنون لك وأنت راقد للنوم فوق الأزهار وسأخلصك من كل شوائب البشر حتى تصبح جنيًا كسائر الجن . (تنادى) زهر البسلة ، نسج العنكبوت ، عُثَّة ، حب الخردل !

(يدخل زهر البسلة ونسج العنكبوت ، وعُثَّة ، وحب الخردل)

زهر البسلة : جاهز !

نسج العنكبوت : وأنا .

عُثَّة : وأنا .

حب الخردل : وأنا .

الجميع : إلى أين نمضى ؟

تيتانيــــــــــــــــا : أحيطوا هذا السيد بمظاهر الحفاوة والتكريم . إخرجلوا أمامه فى الطريق ، وسلّوه برقصاتكم . . أطعموه من الشمس والتوت ، والعنب الأرجوانى والتين الأخضر والعُليق . . إسرخوا أقراص العسل من النحل الطنّان ، وجَرِّدُوا أرجله من الشمع لإستخدامه فى الإنارة فى المساء ، وأشعلوا الشمع من الأعين النارية لحشرة سراج الليل ، حين يتوجه حبيبي إلى فراشه للنوم وحين يستيقظ . وانزعوا من الفراشات الملوّنة أجنحتها ، واصنعوا منها ما يحجب أشعة القمر عن عينيه حين ينام . إنحنوا له أيها الجن وأدّوا واجباتكم نحوه .

زهر البسلة : تحية لك أيها الإنسان الفانى !

حب الخردل : تحية لك !

بوتــــــــــــــــوم : شكراً لحضراتكم من كل قلبي . . إئذن لي سماحتك بالسؤال عن اسمك .

نسج العنكبوت : نسج العنكبوت .

بوتــــــــــــــــوم : آمل أن تنمو معرفتي بك بمضى الوقت يا سيد نسج العنكبوت .
فإن جُرح إصبعي في يوم ما فقد أستخدمك في تضميده (١) .

وما اسمك أيها السيد المفضل ؟

زهرة البسلة : زهر البسلة .

بوتوم : تحياتي لوالدتك السيدة مهروسة ، ولوالدك السيد قرن البسلة . وأمل أن تنمو معرفتي بك بمضى الوقت يا سيد زهر البسلة . وأنت يا سيدى الكريم ، ما إسمك ؟

حب الخردل : حب الخردل .

بوتسوم : سمعت الكثير عن صبرك وقوة إحتمالك يا سيد حب الخردل .
 كما سمعت عن التهام الناس للكثيرين من أقربائك أثناء
 تناولهم اللحم المشوي . وإسمع لي أن أخبرك أنه كثيرا ما تسبب
 بعض أفراد أسرتك في امتلاء عيني بالدموع^(٢) . . أمل أن تنمو
 معرفتي بك بمضي الوقت يا سيد حب الخردل .

(١) كان نسيج العنكبوت يستخدم أحيانا في صنع الضفاد لوقف نزف الدم من الجروح .
 (٢) إشارة إلى استخدام الخردل (المستردة) مع أكل اللحم ، وإلى تسبب طعمه ورائحته أحيانا في إثارة النّغم .

تيتانيوس : لتخدموه إذن ، ولتمضوا به الآن إلى جناحي الخاص . . يجئ إلى
أن عيني القمر مُغرورقتان بالدموع . وحين يبكي القمر ،
تبكي معه كل زهرة صغيرة ، وكأنها تأسف لانتهاك الطلّ
عفتها (١) . . . هيا . واربطوا لحبيبي لسانه حتى يمضي معكم
وهو صامت (٢) .

(يخرجون)

(١) إله القمر في الأساطير الإغريقية هي إلهة العفة . وكان ثمة اعتقاد أن القمر - حين يبكي -
يتسبب في الطلّ الذي يكسو الأزهار « فينتهك عفتها » .
(٢) للحيلولة بينه وبين النهيق في غابة أويرون .

المشهد الثاني
فى الغابة
(يدخل أويرون)

أويرون : ليت شعرى هل إستيقظت تيتانيا ؟ وما أول شىء وقعت عينها عليه
عند إستيقاظها مما قُدر لها أن تهيم به وتعشقه كل العشق ؟
(يدخل بك)

ها هو رسولى قد جاء . ما الأخبار أيها الجنى المجنون ؟ وأية حيل
خبيثة تخطط الآن لها فى هذه الأيكة المسحورة ؟

بك : سيدتى قد وقعت فى غرام وحش من الوحوش ، قرب تُعريشتها السرية
المقدسة . إذ بينا هى غارقة فى نومها العميق ، أتت جماعة من الصناع
الأجلاف الحمقى ممن يكسبون عيشهم فى حوانيت أثينا ، واجتمعوا
ليتمرنوا على تمثيلية سيودونها يوم عُرس ثيسوس العظيم . . فأما أكثر
هذه الجماعة الحمقاء حماقة وسطحية ، وهو الذى سيلعب دور
بيراموس فى تمثيليتهم ، فقد حدث أن ترك مكان التمثيل ودلف خلف
أجحة ، فانتهرت الفرصة وألبسته رأس جحش . وقد كان عليه وقتها أن
يرد على حديث حبيبته ثيسى ، فعاد الممثل إلى مكانه . فما أن وقعت
أعينهم عليه حتى ولّوا هارين ، فرار الأوز البرى حين يرى الصائد ،
يزحف فى إتجاهه ، أو فرار الغريبان السوداء حين تسمع طلقه بندقيته ،

فتفترق طائفة في الفضاء كالمجنونة في كل اتجاه . وإذا أقبل الجن يهزون الأرض من تحتهم ، سقط البعض فوق البعض وهم يصيحون «إنهم يقتلوننا »! ويصرخون طالبين النجدة من أثينا . وقد أفقدهم الخوف مداركهم حتى ما عادوا يحسون بأشواك أغصان الشجر وهي تحزهم وتؤذي أبدانهم وتمزق ملابسهم ، وتزعج عن بعضهم أكمامهم وعن البعض قبعاتهم ، وعن كل فرد منهم شيئاً مما يرتديه . وقد قُدت مسيرتهم في الغابة وهم على هذه الحالة من الخوف والذهول ، تاركاً بيراموس الرقيق ممسوحاً في موقعه ، في نفس اللحظة التي استيقظت فيها تيتانيا ، فإذا هي من فورها تقع في غرام الجحش .

أوبيرون : هذا أفضل مما كان بوسعى أن أدبره . ولكن ، هل وضعتَ عصارة الحب في عيني الفتى الأثينية كما أمرتك ؟

بـك : وهذا أيضاً قد فرغتُ منه . . رأيته نائماً والمرأة الأثينية بالقرب منه ، بحيث لن يملك إلا أن يراها عند استيقاظه .

(تدخل هيرميا وديميتريوس)

أوبيرون : لنسرق السمع سرا إليهما . . هو نفس الفتى الأثينية .

بـك : هي نفس المرأة الأثينية ، غير أن الرجل غير الذي رأيته .

(يتتحيان جانبا)

ديميتريوس : لماذا تعتقن من يجبك كل هذا الحب ؟ هو تعنيف أولي أن يوجه إلى الأعداء الأعداء لا إلى أصدق المحبين .

هيرميا : إن كنتُ أعنتُك الآن فإنك تستحق مني ما هو أسوأ من مجرد التعنيف . ذلك أنك إنما تدفعني إلى أن أصبّ عليك جام لعناتي . فإن كنتُ قد قتلت ليساندر أثناء نومه ، ولطخت يدك بدمه ، فهيا لطّخ يدك الأخرى بدمي أنا أيضاً . . ألا إن الشمس ليست بأشد إخلاصاً للنهار منه لي . أفيتعقل أن يكون قد تسلل هاربا مخلفاً إيتاي في نومي ؟

ما أحسبني سأصدق هذا حتى أصدق أن القمر قد اخترق الكرة الأرضية وجاوز مركزها حتى أغضب شمس الظهيرة التي تسطع على الجانب الآخر من العالم . . لا . . لابد أنك قد قتلت ، فلك مظهر القاتل الشرس الذي يُنزل الموت بالأحياء .

ديميتريوس : بل لي مظهر القتل لا مظهر القاتل وقد أصابتني قساوتك بطعنة نافذة في قلبي . أما أنت ، فرغم أنك قاتلتني فإنك تتلألئين وتتألقين تألق كوكب الزهرة هناك في السماء الصافية .

هيرميسا : ما شأن حديثك هذا بليساندر ؟ أين هو ؟ هل بوسعك أى ديميتريوس الطيب أن تردّه إلّى ؟

ديميتريوس : أفضل أن ألقى بجثته إلى الكلاب على أن أردّه إليك .

هيرميسا : إليك عنى إذن أيها الكلب فإنك تخرجنى عن طورى وعن حدود صبر العذراء . هل قتلته إذن ؟ لو كنت قد فعلتها لما أمكن إعتبارك من اليوم فى عداد البشر . . قل الصدق ولو مرة واحدة . قل الصدق ولو بحياتى عندك . إنك ما كنت لتجرؤ على النظر إليه وهو فى يقطته ؛ فهل قتلته إذن وهو نائم ؟ ألا ما أشجعك ! أتيت بفعلة تجرؤ عليها الحشرة والأفعى . . وقد ارتكبتها بالفعل أفعى . فما من أفعى مزدوجة اللسان لها من عصّة قوية كعصّتك أيها الثعبان !

ديميتريوس : إنما تصيّن علىّ جام غضبك شدى من أجل وهم خاطئ . فأنا برىء من دم ليساندر ، وهو على حدّ علمى حيٌّ يَرْزُق .

هيرميسا : فلتطمئننى إذن على أنه بخير ، أرجوك .

ديميتريوس : وما جزائى على هذا إن فعلت ؟

هيرميسا : ستكون مكافأتك ألا ترانى بعد اليوم . وها أنا أرحل عن طلعتك المقيّنة ، فلا تحاول رؤيتى مرة أخرى حيّاً كان ليساندر أو ميتاً .

(تخرج)

ديميتريوس : لا جدوى من المضى فى إثرها وهى فى مثل هذا المزاج الغاضب . .
وسأبقى هنا إذن بعض الوقت . . إن الحزن لتشتد وطأته مع حدة
إفئادنا إلى النوم . فلا حاول أن أخفف بعض الشيء منه بأن أرقد هنا
فى طلب النعاس .

(يرقد على الأرض)

أوبيرون : ولى عليك ، ما الذى فعلته ؟! لقد أخطأت أفدح الخطأ فوضعت
عصارة الحب فى عين عاشق وقي ، مما سيجعله يهجر حبيبته ، بدلاً
من أن تضعها فى عين فتى آخر حتى يقع فى غرام من كان يكرهها .

بـك : وهذه هى سُنّة الحياة والأقدار : فمقابل إنسان واحد وقي فى حبه ،
نجد مليوناً ينكثون عهود الوفاء التى قطعوها على أنفسهم .

أوبيرون : فلتمض إلى الغابة بأسرع من سرعة الريح باحثاً عن هيلينا الأثينية
التي أسقمتها الغرام وذهب بحمرة خديها ، وملأ صدرها بالتنهّدات
التي تسلب العروق دمه . . لتلجأ إلى حيلة تقودها بها إلى هذا
المكان ، فتسحر عينيه حتى يقع فى غرامها حينما يراها .

بـك : سامضى لتوى . . سامضى لتوى . انظر ! ها أنا ذا أمضى بأسرع من
السهم المنطلق من قوس التترى .

(يخرج)

(أوبيرون يضع قطرات من العصارة على جفنى ديميتريوس)

أوبيرون : أيتها الزهرة فى لونها الأرجوانى

ليكن لك مفعول سهم كيوييد النارى .

لتمض عصارئك إلى مقلتيه

وحين ينظر إلى الحبيبة بعينه

فلتبد له فى أبهى الصور وأحلاها

وكأنها هى كوكب الزهرة فى علّاه .

فإن كانت إلى جانبك عند قيامك
فتوسّل إليها أن تُشفيك من لوعة غرامك .
(يدخل بك)

بـك : أئى سيدى وسيد مملكة الجان
ها هي هيلينا تقترب من هذا المكان
وعلى أثرها يأتى الفتى الذى خُذِعَتْ فيه
يطلب حبّها ويشتهيّه .
فهلّا استمعنا إلى ما يقوله الأحمقان ؟
آه يا سيدى ! ما أشدّ حماقة الإنسان !

أويسرون : تَنَحَّ جانبًا . فالجلبة التى سيحدثها الفتى مع فتاته
كفيلة بلأن توقظ ديميتريوس من سباته .

بـك : سيكون ثمة إذن رجلان فى طلب سيّدة ؟
وهى لعمري تسلية جيّدة .
فما مَن شىء يبهجنى على هذه البسيطة ،
قدر ما تبهجنى المواقف العبيطة !

(يخرجان)
(يدخل ليساندر وهيلينا)

ليساندر : ما الذى يجعلك تعتقدين أننى أسخر منك إذ أعبر عن حبي لك ؟ إن
السخرية والاستهزاء لا يجتمعان أبدًا مع دموع العين . وها أنا ذا أبكى
إذ أصرّح لك بهوى . وإنه لهُوى صادق ذلك الذى يعبر عن نفسه مع
إمتلاء العينين بالدموع . فكيف يمكن إذن أن تحسبى هازئا بك وفى
عينى ما يشهد على صدق مشاعرى ؟

هيلينا : ها أنت تتهادى فى سخريتك أكثر فأكثر . . فأية أغراض خبيثة تلك
التي يستهدفها « الصديق » حين تنسخ عهودُ وفائك لى عهود وفائك

لهيرميا ؟ أفى نيتك أن تهجرها ؟ إنك إن وزننت عهدك لها بعهدك لى لما رجحت كفة فى الميزان . فعهدك لكلينا إذن محض هراء ومحض إنك وبهتان .

ليساندر : لم أكن فى وعى حين أقسمتُ لها أنى أهواها .

هيلينا : ولا أنت فى وعيك الآن إذ تقرر أن تنساها .

ليساندر : ديميتريوس لا يحبك ولا يريد سواها .

(ديميتريوس يستيقظ من نومه)

ديميتريوس : هيلينا ! أيتها الإلهة ، أيتها الحورية ، أيتها الفتاة الكاملة ، أيتها الفتاة الإلهية ، حبيبتى ، بماذا عساى أن أقارن عينيك ؟ البلّور يبدو فى لون الطمى إن قورن بصفائهما . . وما أنضج شفتاك الشبيهة قبلتها بقبلة حبتين من الكرز ! وحين أقارن بياض يدك بالثلوج البيضاء النقية على قمم جبال طوروس الشاهقة التى تغشاها رياح الشرق ، تبدو تلك الثلوج فى لون الغراب ! فليؤذن لى بتقيل هذه الأميرة ناصعة البياض النقية ، حتى أضمن لنفسى سعادة أبدية .

هيلينا : كل هذا البؤس وهذا الجحيم ! أراكما قد إتخذتما منى هدفًا لسخريتكما . ولو أنكما مهذبان تلتزمان حدود الأدب واللياقة ، لما رضيتما أن تؤذيانى كل هذا الإيذاء . ألا يكفيكما أن تكرهانى - وأنا أعلم أنكما تكرهانى - فأبيتما إلا أن توخدا جهودكما للإستهزاء بى ؟ لو أنكما حقًا رجلان كما يوحي مظهركما بذلك لما عاملتما فتاة كريمة الأصل هذه المعاملة . تعاهدان وتقسمان وتبالغان فى وصف محاسنى وأنا أعلم تمامًا أنكما تكرهانى من صميم قلوبكما . . إنكما تتنافسان على حب هيرميا ، وتتنافسان الآن على السخرية بهيلينا . فما أروع من دور خليق بالرجال أن تثيرا الدمع فى عيني فتاة مسكينة بسخريتكما ! دعانى أخبركما أنه ما من فتى نبيل يقبل أن يهين عذراء ويُفقد المسكينة صبرها لمجرد أن يضحك ويسلّي نفسه .

ليساندر : إنها لقسوة منك يا ديميتريوس ، فلتكفّ عن هذا العبث . فأنا أعلم أنك تحب هيرميا ، وأنت تعلم أنى أعلم هذا . وها أنا أعلن هنا بمحض إرادتى ومن صميم قلبى أنى أتخلى لك عن حب هيرميا . فلتدخل أنت لى عن حب هيلينا التى أهواها وسأظل أهواها طوال عمرى .

هيلينا : ما أحسب مستهزئين قد بلغوا فى إستهزائهم هذا الحد ! ديميتريوس : لتحفظ بهرميا ياليساندر ، فلا رغبة لى فيها . فإن كنت أحببتها فى وقت من الأوقات فقد ولّى هذا الحب ومضى . وما هويتها إلا لفترة قصيرة عدت بعدها إلى هيلينا ، شأن الإقامة العابرة لمسافرٍ فى فندق ، يعود بعدها ليقيم دوما فى داره .

ليساندر : لا تصدّقيه يا هيلينا .

ديميتريوس : لا تهزأ بوفاء لا تعرفه وإلا دفعت ثمنًا غاليًا فيه . . انظر ! ها هى حبيبتك قد أقبلت . ها هى معشوقتك .

(تدخل هيرميا)

هيرميا : إن ظلمة الليل التى تحول بين عيني وبين الرؤية ، تزيد من رهافة سمعى وتشحذه . فهى إذ تسلب حاسة البصر قواها ، تضاعف من قوة حاسة السمع . . لقد عثرتُ عليك يا ليساندر ، لا بفضل عينيّ ، ولكن بفضل أذنيّ اللتين إهتديت بهما إلى مكانك . ولكن ، خبرنى ، كيف سمح لك قلبك بأن تتركنى على هذا النحو ؟

ليساندر : ولماذا يبقى من يدفعه الحب إلى الانصراف ؟

هيرميا : وأنى حب ذاك الذى دفع ليساندر إلى مغادرتى ؟

ليساندر : الحب الذى دفعنى إلى الانصراف هو حبى لهيلينا ، تلك التى تنير الليل بأكثر مما تنيره النجوم والشهب . لماذا تأتين فى أثرى ؟ ألم يكن ذلك كافيًا حتى تعلمى أن كراهيتى لك هى التى دفعتنى إلى الانصراف عنك ؟

هيرميا : لا أظنك تقول ما تعتقده ، فهذا محال .

هيلينا : إنها شريك لهما في المؤامرة . نعم . أرى الآن أن ثلاثتهم قد اتفقوا فيما بينهم على أداء هذه التمثيلية للسخرية بى .. أئى هيرميا الشريرة ، أنت أيتها الفتاة الجاحدة ، هل تأمرتِ معهما كى تهزوا بى بهذه الحيلة السخيفة ؟ هل ضاعت سدى عهود الأخوة التى قطعناها على أنفسنا ، وتبادلنا للأسرار ، والساعات الطوال التى كنا نقضيها معاً ثم نلعن بعدها إضطرارنا إلى الافتراق ؟ هل نسيت كل هذا ؟ نسيت صداقتنا أيام الدرس وبراءة الطفولة ؟

لقد كنا يا هيرميا نجلس كإلهتين حاذقتين ننسج معاً ياربنا صورة زهرة واحدة على قماش واحد ، جالستين على وسادة واحدة ، مترنمتين فى توافق بأغنية واحدة ، وكأننا إتحدت يدانا وجانبانا وصوتانا وعقلانا فى كيان واحد . . وكذا شبينا معاً ، كثمرة الكرز الجميلة المزدوجة ؛ تبدو إثنين وما هما إلا اثنتان فى واحدة ؛ لها ساق واحدة ، وفى جوفها بذرة واحدة ، وإن خيل أن لها جسمين . كنا كشعار الفارس النبيل ، عليه صورة من شطرين تجمعهما شارة واحدة ، وهما فى ملك إنسان واحد . فهل تضحيتن بحبنا القديم هذا من أجل مشاركة الرجلين فى إزدرائهما بصديقتك المسكينة ؟ ليس هذا عُرف الصداقة ، ولا عُرف العذارى . وبوسعى كما بوسع بنات جنسنا جميعاً أن نؤاخذك على ما تفعلن ، وإن كنت أنا وحدى من يشعر بالمهانة .

هيرميا : كلماتك الغاضبة قد أصابتنى بالذهول . . إننى لا أهزأ بك . بل أغلب ظنى أنك أنت التى تهزئين بى .

هيلينا : ألسنت أنت التى حرقت ليساندر على السخرية بى ، فإذا هو يتبعنى ليشيد بمفاتيح عيني ووجهى ؟ ألسنت أنت التى دفعت حبيبك الآخر ديميتريوس الذى كان يركلنى بقدمه منذ ساعات إلى أن يدعونى بالإلهة والحرورية والإلهية والنادرة والنفيسة والسماوية ؟ إذ كيف يتحدث على هذا النحو إلى من يكرهه ؟ ولماذا ينكر ليساندر حبه لك ، وهو

الذى يملأ قلبه ، ويشتى حبه وهواه ، إلا برضائك وتحريضك إياه؟
فإن كنتُ أقلَّ حظًا من الجبال منك ، ولستُ مثلكُ محبوبةً من الجميع
هتئةً العيش ، فماذنبى فى ذلك وأنا التحسة التى تهوى من لا يهواها ؟
أليس هذا أجدر بأن يثير شفتك دون سخريتك ؟

هيرميسا : أنا لا أفهم ما تعنين بهذا القول .

هيلينا : فافهمى إذن ! واصلى دعابتك وارسمى على وجهك علامات الحزن
والأسى ، وأخرجى لى لسانك حين أدير ظهري ، وتبادلوا فيما بينكم
الغمزات ، واستمروا فى لهُوكم الذى أحكمتم تدبيره ويصلح مادة
لقصة طريفة تروونها فيما بعد . ولو كان لديكم إحساس الشفقة أو
أدبٌ وحسنُ سلوكٍ لما جعلتمونى مادة لسخريتكم . . ولكن وداعًا .
فأنا مستولة إلى حدٍّ ما عما دهانى ، ولن يريحنى منكم غير العزلة أو
الموت العاجل .

ليساندر : بل ابقى يا هيلينا الرقيقة واسمعى عذرى . أى هيلينا الجميلة أى
حبيبى وحياتى وروحى !

هيلينا : رائع !

هيرميسا : كفاك سخرية بها يا حبيبى .

ديميتريوس : إن لم يكن توَّسلها إليه كافيًا فبوسعى أن أجبره .

ليساندر : ليس بوسعك أن تجربنى على شيء لا تحققه توسلاتها . فتهدداتك
ليست بأقوى من تضربها الواهن . . هيلينا ، إنى أحبك . قسما
بحياتى أحبك ، بحياتى التى سأفقدُها الآن من أجلك لإثبات كذبه
إذ يزعم أنى لا أحبك .

ديميتريوس : وأنا أقول إنى أحبك حبًا هو أكبر مما سيكون بوسعه أن يمنحك إياه .

ليساندر : إن كان هذا قولك فهيا إلى المبارزة حتى تثبت صدقك .

ديميتريوس : على الفور . . هيا .

هيرميسا : ما معنى هذا يا ليساندر ؟ (تتعلق به) .

ليساندر : إليك عنى أيتها الزنجية ^(١) !

ديميتريوس : حسنًا إذن يا سيدى ! تظاهر بأنك تحاول عبثًا الإفلات من قبضتها ،
وأنت تريد الخروج معى إلى المباراة ولكنك لا تستطيع ! إليك عنى إذن
فأنت امرؤ جبان !

ليساندر : إليك عنى أيتها الهرة ، أيتها النبتة الشائكة ! دعبنى أيتها الحفيرة وإلا
نحيثك عنى بالقوة كما أنحى الأفعى عن جسدى !

هيرميا : ما هذه الوقاحة المفاجئة منك يا حبيبي ؟ وأى تقلب هذا الذى طرأ
عليك ؟

ليساندر : حبيبيك ! أغربى عن وجهى أيتها التتيرة السمراء ، أيتها الجرعة من
الدواء كرهه المذاق . . أغربى عن وجهى !

هيرميا : أتمزح ياليساندر ؟

هيلينا : أجل هو يمزح ، وأنت أيضًا تمزحين .

ليساندر : سأق بوعدى يا ديميتريوس وأبارزك .

ديميتريوس : أريد توقيعك على هذا الكلام ، فإننى لا أثق فى وعد منك وأنا أرى
مخلوقة ضعيفة تحول بينك وبين الذهاب .

ليساندر : ماذا تريدنى أن أفعل ؟ أؤذيها أم أضربها أم أقتلها ؟ لا . فرغم أنى
أمقتها فلن ألحق بها أذى .

هيرميا : أهنالك أذى أكبر من كراهيتك لى ؟ تمقتنى ؟ لماذا ؟ وأسفاه ! ما الذى
حدث يا حبيبي ؟ ألسن هيرميا ؟ ألسن ليساندر ؟ إن جمالى هو كما
كان منذ ساعات . وكنت تهوانى فى الليلة الماضية ثم تركتنى . .
أيمكن أن تكون - لا سمح الله - قد تركتنى عامدًا ، وعن قصد ؟

(١) فى الأصل : الإثيوبية ؛ إشارة إلى لون بشرتها الأسمر . وكانت سمرة الوجه فى النساء مكروهة فى
إنجلترا فى زمن شكسبير .

ليساندر : أقسم أنى تركتك عامداً وعن قصد وعن رغبة فى ألا أرى وجهك بعد الآن . فلتدخلى إذن عن كل أمل وكل تساؤل وكل شك . تأكدى من صدق ما أقول ومن أنى لا أمزح ، ومن أنى أحب هيلينا وأمقتك .

هيرميا : ويلي عليك أيتها المخادعة ! إنك لكالدودة آكلة الورد ، وسارقة الهوى . هل تسللت إليه ليلاً فسلبت قلب حبيبي منه ؟

هيلينا : إنك حقاً رائعة ! أما عندك من حياء أو خفَر أو خجل ؟ أتريدن أن تضطرى لسانى العفيف أن يمطرك بالسباب ؟ أسفى عليك أيتها الدُمية الزائفة !

هيرميا : دُمية ؟ أجل ، أجل ، هكذا تمضى اللعبة إذن ! قد فهمتُ الآن . لقد قارنتُ بين قامتها وقامتى ، واستغلّت طول قامتها وشُموق عُودها فى إغرائه وغوايته . فهل ارتفع قَدْرُك عنده لأنى قزمة قصيرة القامة ؟ وما مبلغ قصرى أيتها السارية الطويلة المملّخة بالأصباغ ؟ ما مبلغ قصرى ؟ غير أنى لستُ من القصر بحيث أعجز عن الوصول إلى عينيك بأظافرى .

هيلينا : أرجوكم أيها السيدان - رغم سخريتكما بى - أن تمنعاهما من إيذائى . فها كنتُ يوماً بالمتوحشة ولا بالتمرسّة فى الشجار والعراك ، وما أنا إلا فتاة جبانة شأن معظم الفتيات . فلا تدعاهما تضربنى ، ولا تحسبا أنى ندُّها لقصر قامتها وطولى .

هيرميا : ها هى تشير مرة أخرى إلى قصر قامتى .

هيلينا : أى هيرميا لا تغضبى هكذا منى . لقد أحبيتك دائماً يا هيرميا ، وكنت أصون سرك ولم أؤذيك قط ، إلا حين إضطرنى حبى لديميتريوس إلى إفشاء خبر فرارك إلى الغابة إليه . وقد دفعه حبه لك إلى إقتفاء أثرى ، ودفعنى حبى له إلى إقتفاء أثره . غير أنه وبخنى وهددنى إن لم أتركه بالضرب والركل بل وبالموت أيضاً . فإن أنتم تركتمونى أنصرف فى سلام عدتُ بخيبتى إلى أثينا وهجرت محاولة اللحاق بكم . . دعونى أذهب ، خاصة وقد أدركتم مدى سذاجتى وحماتى .

هيرميسا : إنصرفي إذن ، هيا . من ذا الذي يمنعك ؟

هيلينسا : قلبٌ أحقُّ أخلفه هنا ورائي .

هيرميسا : تخلفينه مع ليساندر ؟

هيلينسا : بل مع ديميتريوس .

ليساندر : لا تخشى شيئاً يا هيلينا ، فلن أدعها تؤذيكَ .

ديميتريوس : قسماً لن تؤذيها رغم إنحيازك إلى جانبها .

هيلينسا : إنها لتغدو عند الغضب كالوحش الكاسر . وكذا كانت حدة مزاجها في أيام الدراسة . فهي دائماً كالحيوان المفترس رغم قصر قامتها .

هيرميسا : تعودين إلى ذكر قصر قامتي ؟ لا صفة في غير قصر قامتي ؟ هل ستريكانها تهينني على هذا النحو ؟ دعاني وإياها .

ليساندر : بل فلتذهبي أنت أيتها القزوة الضئيلة الهزيلة متوقفة النمو !

ديميتريوس : إنك لشديد الإهتمام بأمر من لا يعنيه أمرك . أترك هيلينا وشأنها ولا تذكر اسمها ولا تقف إلى جانبها . . وأقسم أنك لو نطقت بكلمة واحدة تعبر بها عن حبك لها فستدفعن ثمن ذلك . (يجرد سيفه من غمده) .

ليساندر : هي لا تحول الآن بيني وبين مبارزتك . (يجرد سيفه هو الآخر) . فلتبعني إذا جرؤت حتى نرى أيُّنا أحقُّ بالظفر بها . (يخرج)

ديميتريوس : أتبعك ؟ بل سأمضي معك جنباً إلى جنب .

(يخرج ديميتريوس في أثره)

هيرميسا : أنت السبب أيتها الفتاة في كل ما حدث . . فقى ! لا تتراجعي !

هيلينسا : لا آمن على نفسي منك ، ولن أمكث أطول من هذا في صحبتك اللعينة . يداك أقوى من يداي عند الشجار ، غير أن طول ساقَي سيعينني على الفرار . (تخرج)

هيرميا : إني مذهولة لا أدري ما أقول .

(تخرج هيرميا في أثر هيلينا)

(يدخل أويرون وبك)

أويرون : كل هذا نتيجة إهمالك . . إما أنك قد أخطأت أو أنك تتعمد القيام بهذه الحيل الخبيثة .

بك : صدقني أي ملك الجان حين أقول إنه مجرد خطأ وقعت فيه . ألم تقل لي إني سأتعرف على الرجل من ثيابه الأثينية ؟ فأنا برىء إذن إذ وضعت العصارة في عيني فتى أثيني . غير أنني مع ذلك سعيد أن أرى الأمور وقد اتخذت مجراها هذا ، وأن أجد في شجارهم فيما بينهم تسلية عظيمة .

أويرون : الفتيان العاشقان ، كما ترى ، يبعثان عن مكان يتبارزان فيه . . فيها أسرع إذن يا رويين ، فزِدْ من حلقة الليل البهيم ، وغطّ نجوم السماء بضباب كثيف في سواد الحجيم ، وإجعل المتنافسين الحائِزِينَ يضلّان الطريق ، فلا يلتقي أحدهما بالآخر وجها لوجه . فليتقمص لسائك حيناً صوت ليساندر ، فتثير بسخريتك نائرة ديميتريوس ، ثم فليتقمص صوت ديميتريوس فتثير نائرة لساندر ، ثم فلتبعد كلا منهما عن موقع الآخر حتى يغشاهما نوم كالموت ، فيغلفهما بجناحي الخفافش ويطأ جفونهما بقدميه الثقيلتين . . ثم فلتضع عصارة هذا النبات في عين ليساندر ، وهي القادرة على إزالة أثر الخطأ الذي ارتكبت وإعادة مُقلّتيه إلى حالهما القديم . وحين يستيقظون من نومهم سيحسبون كل ما حدث من الشجارات مناما وأضغاث أحلام . عندئذ يعود العشاق إلى أثينا وقد ربطت بينهم أواصر تبقى قائمة معهم حتى الموت . . وفي أثناء قيامك أنت بهذه المهمة التي كلفتك بها ، سأوجه أنا إلى ملكتي أسألها أن تعطيني غلامها الهندي ، وأحرّر عينيها من رقة عشق ذلك الوحش القبيح ، فتعود بذلك كل الأمور إلى نصابها الصحيح .

بـك : ولا بد من الإسراع بكل هذا يا مولاي الجنّي ، حيث أن ظلمات الليل
تراجع سريعاً وتنحسر ، وأشعة الصباح على وشك الظهور ، فتضطر
الأشباح الهائمة هنا وهناك إلى التقهقر والعودة إلى مدافن الكنائس .
وقد آبت بالفعل إلى قبورها المليئة بالذود كل الأرواح الملعونة المدفونة
عند تقاطع الطرق أو في أعماق البحار^(١) ، خشية أن يطلع عليها نور
النهار فيفضحها . فهي دائماً تتوارى بنفسها عن الضوء ولا تخرج أبداً
إلا في ظلمة الليل .

أوبيرون : أما نحن فأرواح من صنف آخر ، نعشق النهار ولا نهائه ، ولنا ما
لساكن الأحرار من حق في التجوال أينما شئنا ، حتى إن إمتلاء الأفق
في الشرق بأشعة مباركة نارية الحمرة ، يراها يثبتون إله البحر فيحوّل
ماءه الأخضر المالح إلى ذهب سائل أصفر اللون . . ومع هذا فعلينا أن
نسرع بتنفيذ ما استقر عليه القرار ، فقد ننجح في إنجاز مهمتنا قبل
طلوع النهار .

(يخرج)

بـك : هنا وهناك ، هنا وهناك ،
سأقودهما هنا وهناك ،
وأربك منهما الخطّ والعقول ،
أنا الذي يخشونني في المدن والحقول ،
سأقودهما هنا وهناك .

(يدخل ليساندر)

ها هو أولهما .

(١) يقصد بالأرواح الملعونة أرواح أهل الجحيم . وقد كان المتحرون يدفنون في عصر المؤلف عند
تقاطع الطرق لا في فناء الكنيسة . كما كان ثمة اعتقاد بأن الغرقى في البحار قد قدر لأرواحهم
أن تظل هائمة على الدوام لا تعرف راحة أو رقاد .

ليساندر : أين أنت يا ديميتريوس المتغطرس ؟ تكلم حتى أسمعك .
بيك : هنا أيها الوغد . سيقى فى يدي ومستعد للترال . . أين أنت ؟
ليساندر : سأكون عندك لتوى .
بيك : فلتبعنى إذن إلى أرض أكثر استواء .

(يخرج ليساندر)
(يدخل ديميتريوس)

ديميتريوس : تكلم يا ليساندر مرة أخرى . . تكلم أيها الهارب الجبان .
ألذت بالفرا ؟ تكلم ! أورا أجمه أنت ؟ أين أخفيت رأسك ؟
بيك : أتفخر بنفسك أيها الجبان بمشهد من النجوم ، وتوهم الأشجار بأنك
تطلب التزال وأنت لا تجرؤ على القدوم ؟ هيا أيها الجبان الطفل حتى
أؤدبك بعضاى ، فما من رجل يشرفه أن يُشهر عليك سيفه !
ديميتريوس : أنت هناك ؟

بيك : إتبع صوتى ، فمكاننا هذا غير صالح للمبارزة .
(يخرج جان)
(يدخل ليساندر)

ليساندر : يسبقنى وينادى على يتحدثانى . وحين أصل إلى مكان صوته لا أجده
فيه . لا شك فى أن الوغد أسرع خُطى منى ، إذ مهما أسرع فى أثره
فهو يسبقنى . وقد خارت قواى من وعورة الطريق فى الظلام .
فلأستريح هنا حتى يهل على النهار .
(يرقد للنوم فى أحد أركان المسرح)
حتى إذا ما ظهر ضوء الشمس ، بحثت عن ديميتريوس حتى أجده
وأشفى غليلي منه .

(يدخل بك وديميتريوس)

بيك : هو هو هو ! لماذا لا تأتيني أيها الجبان ؟

ديميتريوس : إن كانت لديك الجرأة فانتظرنى . فأنا أعلم أنك تعدو أمامى وتراوغنى
منتقلا من مكان إلى مكان ، دون أن تجرؤ على التوقف لمواجهةى . .
أين أنت الآن ؟

بـك : هنا . تعال إلى هنا .

ديميتريوس : إنك تسخر منى ، وستدفع ثمن ذلك غاليا متى رأيت وجهك فى
ضوء النهار . فلتمض الآن لشأنك . . التعب يضطرنى إلى الرقود هنا
فى هذا الفراش البارد . . فانتظرنى إذن عند مطلع الشمس .

(يرقد فى ركن آخر)

(تدخل هيلينا)

هيلينا : يالك من ليل مُنْهَك طويل ثقيل ! هلا قصرت من ساعاتك ؟ !

فلتشرق الشمس بدفئها وراحتها من الشرق حتى أعود إلى أثينا فى
ضوئها ، تاركة خلفى قوما لا يحبونى . وعسى النوم الذى يهدئ
أحيانا من سؤرة الحزن أن يزورنى حتى أنسى ذاتى بعض الوقت .

(ترقد للنوم فى ركن ثالث)

بـك : ثلاثة حتى الآن ؟ لابد من رابع حتى يكون ثمة من كل زوجين إثنان . .
آه ! هاهى مقبلة ، حزينة وفى غضب شديد . ألا ما أخبرت ذلك
الصبى كيوبيد ! أهكذا يُفقد النساء المسكينات صوابهن ؟

(تدخل هيرميا)

هيرميا : لم أخبر فى حياتى مثل هذا التعب ولا مثل هذا الشقاء . قد بللنى الطلّ
ومزقت الأغصان ثيابى . . لا طاقة لى على المشى ، وما بوسعى أن
أمضى قُدُما . وساقى أضعف من أن تطيعا هواى . . سأستريح هنا
حتى يطلع النهار . ووقى الله ليساندر من شر الشجار .

(ترقد فى الركن الرابع)

بـك : على الأرض تنامون

ريثما أضع عصاة الحب في العيون .

وحين تستيقظون

ستسعدون وتطربون

لمرأى من كنتم بالأمس تعشقون .

وكما يقول المثل عن النصيب

كل امرئ قد قُدر له حبيب

وهو ما سيُثبت بالتأكيد لكم

لحظة إستيقاظكم من نومكم

حين يعود كل منكم إلى هواه

فيشلع قلبه بنيل مناه .

(يخرج)

الفصل الرابع

الفصل الرابع

المشهد الأول

فى الغابة

(العشاق الأربعة راقدون فى نومهم - تدخل تيتانيا وبوتوم
مع أتباعهما من الجن ، بينما يراقبهم أوبيرون دون أن يروه)

تيتانيا : تعال ، فلتجلس هنا على هذا الفراش من الزهور ، حتى أتحس
خديك الجميلين ، وأضع ورود المسك فى رأسك الناعم الأملس ،
وأقبل أذنك الكبيرتين الرائعتين يا بهجة حياتى ومنأى .

بوتوم : أين زهر البسلة ؟

زهر البسلة : هنا .

بوتوم : اهرش لى رأسى يا زهر البسلة . . وأين المسيو نسج العنكبوت ؟

نسج العنكبوت : هنا .

بوتوم : مسيو نسج العنكبوت ، خذ سلاحك فى يدك يا مسيو ، واقتل لى
نحلة طنانة همراء الخضر تقف على نبات شائك ، واحضر لى
قرص العسل يا مسيو ، ولكن حذار من أن ينكسر القرص . إنى
أسف إذ أسألك أن تحمل ما قد لا تكون لك طاقة به يا سنيور . .
ولكن ، أين المسيو حبّ الخردل ؟

حبّ الخردل : هنا .

بوتوم : هات يدك أضافحك يا مسيو حب الخردل ، ولا داعى لكل هذه
الانحناءات يا مسيو .

حب الخردل : بم تأمر ؟

بوتوم : لا أطلب منك يا مسيو سوى أن تساعد الفارس نسج العنكبوت فى
الهرش^(١) . إني فى حاجة إلى حلاق يا مسيو ، ففى ظنى أن شعر
لحيتى قد نما نمواً فظيماً . وما أنا إلا جحش رقيق ، إن دغدغنى
الشعر فلا بدلى من الهرش .

تيتانيا : أترغب فى سماع الموسيقى يا حبيى الجميل ؟

بوتوم : لا بأس ، فلدى أذن موسيقية . فليحضروا المصَفَّقات
والمَخْشِخشات^(٢)

(عزف على المصَفَّقات والمخشخشات)

تيتانيا : قل لى يا حبيى أى الأطعمة تشتهي ؟

بوتوم : حبذا زكية من الشوفان المجفَّف الممتاز . كما أشتهى بعض الثَّين
الجيد الذى لا يعلوه طعام فى الدنيا .

تيتانيا : فى خدمتى جنية جريئة بوسعها أن تسطو على ذخيرة السنجاب من
البندق الطازج وتحضرها لك .

بوتوم : أفضل عليه حفنة أو حفتين من البسلة المجففة . . غير أنى أشعر
برغبة عامرة^(٣) فى النوم قد إنتابتنى ، ورجائى أن تطلبى من رعاياك ألا
يزعجونى .

(١) لا شك فى أن شكسبير أخطأ هنا فكتب « نسج العنكبوت » بدلاً من « زهر البسلة » ، الذى
كلَّفه بوتوم بهرش رأسه .

(٢) عصى من عَظْم مسطح يُمسك بها العازف بين أصابعه لإحداث الأنغام ، وتستخدم لحث
الأنغام على السير .

(٣) يقصد عارمة .

تيتانيا : لتتم إذن ، وسأطوقك بذراعي . . انصرفوا أيها الجن عَنَّا ، وتفترقوا في كافة الاتجاهات .

(يخرج الجن)

أطوقك بذراعي في حنان كما تطوق العَشَقَةُ شجرةَ صَريمة الجدى ، أو كما يطوق اللبلاب جذع شجرة الدردار وفروعها . . أه ما أعظم حبي لك وإفتاني بك !

(يدخل أويرون وبك)

أويرون : أهلاً بك ياروين . تفرّج على هذا المنظر الجميل ! لقد بدأت أشفق عليها من جنونها وحماتها . . قابلتها منذ قليل خلف الغابة تبحث عن هدايا ثمينة تقدّمها لهذا الأبله الكريه ، فوبختها وتشاجرت معها . . كانت قد وضعت على رأسه المشعر إكليلاً من الزهور النضرة العطرة . أما قطرات الطلّ التي تتجمّع على البراعم وتكبر حتى تبدو أحياناً كلالئ الشرق ، فقد رأيتها وقتئذ في أعين الزهر الجميل كالدموع تنهمر أسفاً على حماقة تيتانيا . . . وعندما عثفتها بها فيه الكفاية ، وشرعت هي في رقة تطلب مني أن أكفّ ، سألتها أن تتنازل لي عن غلامها المسروق ، فتنازلت لي على الفور عنه ، وبعثت بجنية لتحضره إلى تعريشتي في مملكة الجن . . وإذ بات الغلام الآن لي ، فسأزيل عن عينها ذلك الوهم الكريه . . . وعليك الآن يا بك أن تنزع رأس الجحش عن هذا العامل الأثيني ، حتى إذا ما استيقظ مع استيقاظ الآخرين ، عادوا جميعاً إلى أثينا وفي اعتقادهم أن كل ما حدث هذه الليلة ليس إلا أضغاث أحلام مزعجة .

(يضع قطرات من العصارة في عيني تيتانيا)

غير أنني سأبدأ بإزالة الوهم عن ملكة الجن :

عودي إذن إلى ما كنت عليه منذ حين

وانظري بالعين التي كنت بها تبصرين

وها هي زهرة ديانا تبطل مفعول زهرة كيوييد
إذ لها لَعْمَرَى تأثير قويّ ومفعول أكيد (١) .
والآن فلتستيقظي يا تيتانيا ، أي ملكتي الجميلة .

تيتانيا : حبيبي أوبيرون ، أية أحلام تلك التي رأيْتُها في منامي . خُيِّلَ لِي أني قد
وقعت في غرام جحش .

أوبيرون : وها هو حبييك يرقد هنا .

تيتانيا : كيف حدث هذا ؟ ألا ما أبشع وجهه الآن في عيني !
أوبيرون : أصبري هُنيئة . . روبين إخلع عنه هذه الرأس . وأنتِ يا تيتانيا عليك
بالموسيقين . . نريد عَزْفا يُنسى هؤلاء الخمسة (٢) ما حدث لهم .
(صوت موسيقى هادئة)

(ينزع بَكَ رأس الجحش عن بوتوم)

بَك : لنتنظّر عند استيقاظك بعيني الأحق الذي كتته من قبل .

أوبيرون : نريد الآن موسيقى الرقص !

(تتحول الموسيقى الهادئة إلى موسيقى الرقص)

ها يا مليكتي ، فلتشابك أيدينا ، ولنهزّ بـرقصنا الأرض التي يرقد عليها
هؤلاء النيام .

(يرقصان)

قد عدنا الآن إذن إلى حبّنا القديم . وسنرقص غداً عند منتصف الليل في
الاحتفال بمنزل الدوق ثيسبوس ، ونباركه وندعو له بالخيرات . .

(١) الفطرات التي يضعها أوبيرون في عيني تيتانيا هي من عصارة زهرة تباركها ديانا إلهة العفة ، ولها
القدرة على إزالة الغشاوة عن أعين المحبين . فديانا هي عدوة كيوييد الذي يُوقع الناس في شَرَك
الغرام ، فتأتى ديانا لتخلصهم منه .
(٢) يقصد العشاق الأربعة بالإضافة إلى بوتوم .

وسيكون بالحفل هؤلاء العشاق الأوفياء ، الذين سيعقد قرائنهم في نفس الوقت مع ثيسوس ، في جو من الحبور والإنشراح .

بك : صَبة يا ملك الجن فإني أسمع صوت قبرة الصباح .

أويرون : فلتنسحب إذن أي مليكتي في صمت مع إنحسار ظلمات الليل . وإنه لبوسعنا أن ندور حول كوكب الأرض بأسرع من دوران القمر في مداره .

تيتانيا : هيا يا مولاي . ولتختبرني أثناء إنصرافنا كيف حدث أن وجدتني هذه الليلة راقدة على الأرض مع هؤلاء الأدميين الفانين .

(ينصرفون)

(صوت أبواق . يدخل ثيسوس وهيبوليتا وإيجيوس مع أتباعهم)

ثيسوس : فليذهب أحدكم ليبحث عن حارس الغابة . . قد فرغنا الآن من الطقوس (١) . وما دام النهار كله أمامنا فلأنعم مع حبيبتى برحلة صيد . أطلقوا سراح كلابنا بالوادي الغربي . أسرعوا ، وإبحثوا عن حارس الغابة . . أما نحن يا مليكتي الجميلة فسنرقى قمة الجبل ونستمع هناك إلى إختلاط نباح الكلاب مع أصداؤه .

هيبوليتا : كنت ذات مرة مع هرقل وكادموس في إحدى غابات جزيرة كريت ، حين حاصرت كلابهم الإسرطية دبًا من الدببة . . سمعتُ يومها نباحًا لم أسمع مثيلًا له من قبل ، نباح رددته الآجداث والسماء والتافورات وكل بقعة قريبة من المكان ، فاختلطت الأصدااء في صرخة قوية واحدة ، أو هي الموسيقى النشاز أو قصف الرعد الرخيم . .

ثيسوس : كلابي هي أيضًا من سلالة إسرطية ، عظيمة الفكين ، رملية اللون ، ولها أذنان تنفضان بهما ما هبط عليهما من طلل الصباح ، وأرجل مقوّسة ، وجلد يتهدّل من عنقها شأن ثيران ثيساليا ، بطيئة في عدوها ،

(١) طقوس قديمة يجتمع العشاق بمقتضاها ليراقبوا مطلع الفجر في عيد أول مايو .

غير أن نباحها مختلف الطبقات ، ذو عذوية لا نلمسها في نباح كلاب
كريت أو إسبرطة أو ثيساليا . . ولتحكمى بنفسك حين تسمعيه . .
ولكن ، صَه ! أى جَن يرقد هنا ؟

إيجيوس : مولاي ، هذه ابنتى نائمة هنا ، وهذا ليساندر ، وهذا ديميتريوس ، وهذه
هيلينا ابنة نيدار العجوز . ليت شعري كيف التقوا معا في هذا المكان ؟

ثيسوس : لابد أنهم استيقظوا في ساعة مبكرة للاحتفال مثلنا بمطلع الفجر وأداء
طقوس عيد أول مايو ، وأن يكونوا قد علموا بنيتنا الخروج فجاءوا
للاستقبالنا . . . ولكن ، خبرني يا إيجيوس ، أليس اليوم هو اليوم
المحدد لإدلاء هيرميا بردها وقرارها ؟

إيجيوس : أجل يا مولاي .

ثيسوس : لتطلب من الصيادين أن يوقظوهم بصوت أبواقهم .

(صوت أبواق - يستيقظ العشاق من سباتهم)

نَعَمْ صباحُكم أيها الأصدقاء . لقد إنقضى عيد القديس فالتين منذ
أمد بعيد ^(١) ، وأنتم تبدأون سيفادكم الآن ؟ ! أى نوع من طيور الغابة
أنتم ؟ !

ليساندر : عفواً يا مولاي .

ثيسوس : هموا جميعاً واقفين . . أنا أعلم أنكم عدوان متنافسان . فكيف حدث
إذن أن توافقتما بحيث تسمح الكراهية والغيرة لمتنافستين بأن يرقدا جنباً
إلى جنب دون أن يخشى كل منهما جانب الآخر ؟

ليساندر : أجييك يا مولاي وأنا في حيرة من أمرى وبين النوم واليقظة . ومع ذلك
فأكاد أقسم أننى لا أعلم كيف جئت إلى هنا . إنه الصدق ما أقول ،
غير أننى قد بدأت الآن أتذكر أننى . . . نعم ، أننى جئت إلى هنا مع

(١) عيدٌ يُحتفل به يوم ١٤ فبراير من كل عام ، ويقال إن الطيور فيه تختار أزواجها في موسم
التناسل .

هيرميا . وكان قصدنا أن نترك أثينا إلى مكان لا سلطان لقوانينها عليه ،
وأن

إيجيوس : يكفى هذا يا مولاي . . . في قوله ما فيه الكفاية . . فلتنزل به العقوبة
الواردة في القانون . . كانا يا ديميتريوس يعترمان الفرار حتى يفسدا
عليك وعلى خططنا ، بأن مجرمك من الزوجة ، ومجرمانى من حقى في
الموافقة ، موافقتى على أن تكون إبتى زوجة لك .

ديميتريوس : مولاي . لقد أطلعتنى هيلينا الجميلة على سرّ إعترامها الهرب ، ونبّتها
التوجّه إلى هذه الغابة . وقد تبعتهما إليها وأنا في غضب شديد ،
وتبعتنى هيلينا الجميلة لحبّها لى . . . غير أنى يا مولاي لا أعلم أىّ قوة
تلك - فلا شك أن ثمة قوة ما - تلك التى تسببت فى أن يذوب حبي
لهرميا كما تذوب الثلوج ، بحيث يبدولى هذا الحب الآن كذكرك دمية
لا جدوى منها كنت أحبّها فى طفولتى أشدّ الحب . . أما وفائى
وهواى . ومصدر سعادتى وهنائى ، فهيلينا وحدها . لقد كنتُ يا
مولاي خطيئها قبل أن أرى هيرميا . وكما أن المرء فى حال مرضه قد
يكوه هذا الطعام أو ذاك ، حتى إذا ما إستردّ عافيته عاد إلى إشتهائه ،
فكذا الحال معى . قد بتّ أشتيها وأهوها وأشتاق إليها ، وسأكون
وفيا لها إلى أبد الأبدى .

ثيسيوس : وإنه لمن حسن الطالع أن نقابلكم هنا أيها العشاق الأوفياء .
ستحدث فى هذا الأمر فيما بعد بتفصيل أوفى . . إيجيوس ! لتكن
لإرادتى اليد العليا لا إرادتك . ففى المبد سيحتفل هؤلاء بزواجهم
وقت إحتفالى بزواجى . وحيث أن الصباح قد إنقضت الآن منه عدة
ساعات ، فلن نقوم برحلة الصيد المعترمة . فلنعد معا إلى أثينا : ثلاثة
رجال وثلاث حسناوات ، يشتركون جميعا فى أجمل الاحتفالات .

(يخرج ثيسيوس وهيبوليتا وإيجيوس وأتباعهم)

ديميتريوس : قد اختلطت عندى أحداث الليلة الماضية وأحداث الصباح كما تمتزج
الجبال البعيدة بالسحب فى السماء .

هيرميا : مُيَّأً لى أُنَى إِنِنَا انظر لى هذه الأمور من خلال ضباب كثيف ، بحيث يبدو كل شىء مزدوجاً فى عيني .

هيلينا : وكذا الحال معى . . فأنا إِنما عثرت على ديميتريوس عثورى على جوهرة لا أدرى أهى لى أم لا .

ديميتريوس : أوائتقون أنتم من أننا أيقاظ ؟ يبدو لى وكأننا نحن لا نزال فى نومنا نحلم . . هل كان الدوق هنا حقاً وطلب منا أن نتبعه ؟

هيرميا : أجل ، وكان والدى معه .

هيلينا : وهيبوليتا أيضاً .

ليساندر : وأمرنا أن نتبعه لى المعبد .

ديميتريوس : فنحن أيقاظ إذن ! لننتبعه ، وليقصّ كل منا أثناء الطريق ما رآه من أحلام . (يخرج العشاق)

بوتوم : (يستيقظ من نومه) نادوا علىّ حين يحى دورى وسأجيب . سأجيب حين تقول ثيسبى « أى بيراموس الوسيم » . . هاى ! هو ! بيتر كوينس ! فلوت يا مصلح المنافخ ! سناوت يا سمكرى ! ستارفلينج ! يا إلهى ! تسلّلوا من المكان وتركونى نائماً ! . . رأيتُ فى منامى أغرب حلم فى الوجود . حلم لن يكون بوسع مخلوق أن يفسّره ، والجحش وحده الذى سيدعى القدرة على تفسيره . . . حلمت أننى . . . شىء لن يدور بخلد إنسان . . حلمت أننى وحلمت أن لى . . . غير أن الأحمق وحده هو الذى سيدعى معرفة ما كان لى . . فما سمعتُ عينُ إنسان ، ولا رأتُ أذنُ إنسان ، ولا ذاقَت يدُ إنسان ، ولا فهم لسانُ إنسان ، ولا تكلمَ قلب إنسان ، بمثل ما رأيته فى المنام . . . سأطلب من بيتر كوينس أن ينظم قصيدة غنائية عن هذا الحلم ، وسنسُميها « حُلُم بوتوم » ، فهو حُلُم لا قعر له ولا قاع^(١) . وسأغنى القصيدة فى الجزء الأخير من التمثيلية أمام الدوق . وربما غنيتها لحظة وفاة ثيسبى حتى تكون لها مناسبة . (يخرج)

(١) تعنى كلمة بوتوم بالإنجليزية القمر أو القاع .

الفصل الرابع

المشهد الثانى

منزل كوينس فى أثينا

(يدخل كوينس ، فلووت ، وسناوت ، وستار فلينج)

- كوينس : هل بعثتم أحداً إلى منزل بوتوم ؟ هل عاد إلى داره ؟
- ستار فلينج : لم يسمع أحد خبراً عنه ، ولا شك فى أنه قد مُسِخ .
- فلووت : إن لم يعد ذهبت تمثيليتنا أدراج الرياح . فنحن لن نمثلها إن هو لم يعد ، أليس كذلك ؟
- كوينس : لا . لن يكون ذلك بالإمكان . فما من رجل واحد فى أثينا كلها له قدرة بوتوم على أداء دور بيراموس .
- فلووت : معك حق . فالرجل يتمتع بعقل لن تجد نظيراً له بين العمال فى أية صنعة فى أثينا .
- كوينس : أجل . ولا نظير أيضاً لشخصيته أو صوته . إنه نموذجٌ مُحْتَرَى .
- فلووت : تقصد « نموذجٌ يحتذى » . فنموذجٌ يحتذى ، ولا مؤاخذه ، خطأ .
- (يدخل سَنَج)
- سَنَج : أيها السادة ، قد ترك الدوق المعبد ومعه إثنان أو ثلاثة من الأزواج قد عقدوا قرائهم هم أيضاً . لو كنا قد مثلنا تمثيليتنا أمامه لطارت شهرتنا فى الآفاق .

فلوت : أسفى عليك يا بولى بوتوم ! لولا إلغاء التمثيلية لأمرؤا لك بستة بنسات
عن كل يوم مدى الحياة . فالمؤكد أنه كان سينالها ، وليس إسمى فلوت
إن لم يكن من المؤكد أن الدوق كان سيأمر له بستة بنسات عن كل يوم
مدى الحياة ، مكافأة له على أدائه دور بيراموس . وكان الرجل حقًا
يستحقها . إما ستة بنسات أو لا شىء مقابل أداء دور بيراموس .

(يدخل بوتوم)

بوتوم : أين أنتم يا رجال ؟ أين أنتم يا أصدقاء ؟

كوينس : بوتوم ! ألا ما أسعده من يوم ! ألا ما أسعدها من ساعة !

بوتوم : آه يا ساده ! لدى قصة ملئها العجب العُجاب . ولكن لا تطلبوا منى
أن أروىها لكم . ولعنة الله على إن أنا رويتها لكم . ومع ذلك فسأروىها
لكم ، وبكل تفاصيلها ، وكما وقعت بالضبط .

كوينس : هيا ازوها لنا يا بوتوم العزيز .

بوتوم : لن أنطق بكلمة . كل ما سأقوله لكم هو أن الدوق قد فرغ من عشائه .
فهيا إجمعوا ملابس التمثيل ، وخيوطا قوية لتركيب اللحى فى الوجوه ،
وأربطة جديدة لنعالكُم ، ولتقابل لتوتا عند القصر . وليراجع كل فرد
منكم دوره . فخلاصة القول أن تمثيليتنا قد وقع عليها الاختيار . وعلى
أى الأحوال فلا بد لثيسى من ملابس نظيفة . وليحذر من سيقوم بدور
الأسد من أن يقلم أظافره ، فهى التى سيرزها باعتبارها محالب الأسد .
ورجائى الحار أيها الممثلون الأعزاء أن تمتنعوا عن أكل البصل والثوم .
فأنفاسنا ينبغى أن تكون للذيدة الرائحة أثناء الإلقاء ، حتى نسمعهم
يقولون إنها كوميديا للذيدة . . ثم لا كلام بعد هذا فهيّا بنا إذن . هيا !

الفصل الخامس

المشهد الأول

القصر في أثينا

(يدخل ثيسوس ، وهيوليتا ، وفيلوسترات ، وبعض الأتباع)

هيوليتا : ما أغرب ما يرويه هؤلاء العشاق من حديث !

ثيسوس : غرابته أشد من صدقه . فليس بوسعى أن أصدق هذه الخرافات القديمة أو هذه الأحاديث الساذجة عن الجن . إن للعشاق والمجانين عقولاً متهتجة وتخيلات غريبة تمكنهم من رؤية ما لا يراه العقل الهادئ . فالمجنون والعاشق والشاعر لهم نفس الصنف من المخيلة . أحدهم يرى من الشياطين ما ليس بوسع الجحيم أن يحتويه ؛ وهذا هو المجنون . أما العاشق - وهو في مثل تهبجه - فقد يرى جمالاً كجمال هيلين في وجه عجزية من مصر . وأما الشاعر فهو في نوبات جنونه ينقل بصره من السماء إلى الأرض ، ومن الأرض إلى السماء ، فتصوّر له مخيلته أشكال أشياء غير معروفة أو مألوفة ، ويستطيع بقلمه أن يُجسّدها وأن يخلق من لا شيء شيئاً يُسمّيه . وللمخيلة القوية حيّتها ؛ فهي إن توقّعت سعادة خالت هذا الشخص أو ذاك قد جاء إليها بالخبر السعيد . وإن توقّعت شراً كان من السهل عليها أن ترى في الليل في كل شجرة دُبّاً مفترساً !

هيوليتا : غير أن إجماعهم على رواية أحداث الليل على نحو واحد ، ومروهم جميعاً

بنفس التجربة يشهدان على أن بالأمر أكثر من مجرد أوهام ، وأنه حقيقة رغم غرابته المذهلة .

(يدخل ليساندر وديميتريوس وهيرميا وهيلينا)

ثيسوس : ها هم العشاق قد أقبلوا وقد غمرتهم السعادة والفرح . . غمر الله قلوبكم أيها الأصدقاء الأعزاء بالحبور ، ومدّ في أيام حبّكم .

ليساندر : وشمل قصرك ومتنزهاتك ومآدبك وفراشك بسعادة يفوق قدرها قدر سعادتنا .

ثيسوس : والآن ، أية تسلّيات أو تمثيلات أو رقصات قد تم إعدادها لنا حتى نقطع الساعات الثلاث الطويلة ما بين العشاء ووقت النوم ؟ أين المشرف على تنظيم الاحتفالات ؟ أية تسلّيات قد أعدت ؟ أما هناك من تمثيلية تخفف من وطأة عذاب الساعات المتبقية ؟ نادوا فيلواسترات .

فيلواسترات : هنا أي ثيسوس العظيم .

ثيسوس : خبّرنا بتسلّيات هذا المساء . أسيكون هناك رقص ، أم موسيقى ؟ أم ثمة تسلية أخرى تزيل إحساسنا ببطء مرور الوقت ؟

فيلواسترات : ها هي قائمة بما أعدّ من تسلّيات . فلتختر سموك ما تريدنا أن نبدأ به .

ثيسوس : (يتناول القائمة منه ويقرأ) « الحرب مع القنطور : ^(١) أغنية يغنيها خصي أثيني على أنغام القيثارة » لا نريد هذا ، فقد سبق أن رويت لحبيتي هذه القصة عن أمجاد قريبي هرقل . . . (يقرأ) تمرد السكرى من تابعات باخوس ^(٢) ، وكيف مزّقن إربا في سؤرة غضبه من إقليم ثراسيا ^(٣) » قد شاهدنا هذا من

(١) القنطور : كائن خرافي نصفه رجل ونصفه فرس .

(٢) باخوس : إله الخمر .

(٣) ثراسيا : إقليم في الجنوب الشرقي من البلقان . والمقصود بالمغتني هنا هو أورفيوس .

قبل عند عرضه بعد عودتي ظافراً من طيبة . . . (يقرأ) « إلهات
الفنون التسع يتعين اختصار الثقافة التي توفيت مؤخرًا في حال من
الفقر والإملاق » . . . لا بد أنها إحدى السخريات اللاذعة الناقدة مما
لا يليق بحفل زفاف . . . (يقرأ) « منظرٌ مُملٌ قصيرٌ عن بيراموس
الشاب وحيبته ثيسبي ، وهي كوميديا مأساوية للغاية » . . . ماهذا؟
كوميديا ومأساوية ؟ مملة وقصيرة ؟ إنه الجليد الساخن إذن ، والثلج
اللافح ! كيف نفهم هذا اللغو غير المفهوم ؟

فيلوسترات : هناك بالفعل تمثيلية يا مولاي من عشر كلمات ، هي أقصر ما عرفته
من تمثيلات . وهي مع ذلك أطول من اللازم بعشر كلمات ، وهو ما
يجعلها مملة . إذ ليست بالمرحية كلها كلمة ذكية واحدة ، ولا يمثل
مناسب لدوه . . هي مأساوية بالفعل أى مولاي النبيل ، فيراموس
فيها يقتل نفسه ، وهو منظر ما شاهدته والممثلون يتمزتون عليه حتى
إغزورقت عيني بالدموع . ولكنها دموع الضحك والقهقهات العالية
مما لم يخبر الناس لها مثيلا !

ثيسبوس : ومن هم الممثلون فيها ؟

فيلوسترات : عمالٌ خُشِنوا الأيدي يعملون هنا في أثينا ، ممن لم يفكروا في تشغيل
عقولهم حتى اليوم . غير أنهم الآن قد شحذوا ذاكرتهم غير المدرّبة
حتى يقدموا هذه المسرحية في الاحتفال بزفافك .

ثيسبوس : سنسمعها منهم .

فيلوسترات : لا يا مولاي أرجوك . إنها لا تليق بك . لقد حضرتها فوجدتها محض
هراء . . عبث ولغو . . هذا ما لم تكن بك رغبة في السخرية مما بذلوه
من جهد شاق في حفظ أدوارهم وأدائها من أجل تمثيلها أمامك .

ثيسبوس : سأستمع إلى تلك المسرحية . إذ لأعضاضة من شيء نابع عن براءة
وإخلاص وإحساس بالواجب . أحضرهم هنا . . ولتأخذ السيدات
أماكنهن .

(يخرج فيلوسترات)

هيوليتا : لا أطيع منظر البسطاء يحاولون القيام بما لا طاقة لهم به عن مجرد إحساس خاطئ منهم بالواجب .

ثيسوس : ولكنك يا حبيبتي لن تشاهدى شيئا من هذا القليل .

هيوليتا : يقول إنهم لا يفهمون شيئا في باب التمثيل .

ثيسوس : سيكون فضلنا إذن مضاعفا إن نحن شكرناهم على شيء لا قيمة له ، وستكون متعتنا في تقبل أخطائهم بصدور رحب . فالإنسان النبيل إنما يحكم على عرض من هذا النوع على ضوء الجهد الذى بُذل فيه لا القيمة الحقيقية له . . أذكر أنني عند وصولي ، علمت أن بعض العلماء أعدوا لاستقبالى خطبا بذلوا في كتابتها جهدا كبيرا . فما وقفوا لتلاوتها أمامي حتى إرتعدت أبدانهم وشحبت وجوههم ، وصاروا يتوقفون في منتصف الجمل وقد عقدت الرهبة ألسنتهم ، ويتلعثمون في نطق ما أتقنوا إعداده ، ثم إذا هم يتوقفون تماما دون إتمام خطب الترحيب . . صدقيني يا حبيبتي حين أقول إنني لمست حينئذ الترحيب حتى في سكوتهم ، ولمست في تلعثهم الناجم عن رهبة أداء الواجب نية طيبة لا ألسها في خطبة طنانة يلقيها خطيب جرىء بليغ . ولذا فإننى أعتقد أن الكلمات النابعة عن المحبة والإخلاص هي التي تصل إلى القلب حتى إن تلعثم قائلها في النطق بها .

(يدخل فيلوسترات)

فيلوسترات : مولاي ، مُقَدِّم التمثيلية مستعد للبدء .

ثيسوس : دعه يدخل .

(صوت أبواق - يدخل كوينس لإلقاء المقدمة)

كوينس : إن نحن أخطأنا أو ضايقنا أحدا فهذا قصدنا . نوضحه لكم أملنا أن تثقوا في أننا لم نقدم . لنضايحكم وإنما عن حسن نية . لإظهار مواهبنا المتواضعة ، هذه هي غايتنا الحقيقية . فنقوا إذن أن الغرض الحقيقي

من قدومنا وما قدومنا . للاستخفاف بكم وإهانتكم هو إرضاءكم .
ولإدخال السرور إلى قلوبكم لسنا هنا . لإشعاركم بالندم على مشاهدة
تمثيلتنا الممثلون جاهزون^(١) . وستفهمون من تمثيلهم كل المعاني
التي قصدها المؤلف .

ثيسوس : هذا الرجل لا يُلقى بالا على الإطلاق إلى ترقيم الجمل .

ليساندر : كان في قراءته للمقدمة كالمهر الساذج لا يدري أين ينبغي أن يتوقف .
والغزى من ذلك يا مولاي أنه لا يكفي المرء أن يتكلم ، بل المهم أن
يتكلم جيدًا .

هيبوليتا : لقد قرأ مقدمته كما يعزف الطفل على الفلوت : أصوات ولا موسيقى .
ثيسوس : كان حديثه كسلسلة الحديد المتشابكة المعقدة : لم يلحقها ضررٌ وإن
صُعِبَ حلُّها . . من يأتي بعده ؟

(يدخل بيراموس وثيسبي والحافظ وضوء القمر والأسد)

كوينس : قد تتساءلون أيها السيدات والسادة الكرام عن موضوع تمثيلتنا . .
فلتساءلوا كما يعنّ لكم حتى يتضح لكم مغزاها وبجراها .
فإن شئتم معرفة اسم هذا الرجل ، فإسمه بيراموس . أما هذه السيدة
الجميلة فالمؤكد أنها ثيسبي . وهذا الرجل الذي يعلو ملابسه الجير
وتخشينة الطلاء فيمثل الحائط ، ذلك الحائط الشرير الذي كان يفصل
ويفرّق بين الحبيين ، والذي كان المسكينان قانعين بالتحادث عبر شقّ

(١) في استخدام كوينس للنقط والفواصل اضطراب شديد يفسد المعنى وقد يعكسه . والترقيم
الصحيح للنص هو كالتالي :

« إن نحن أخطأنا أوضاعنا أحدًا ، فهذا قصدنا نرّضحه لكم : أملنا أن تتقوا في أننا لم نقدم
لنضايحكم ، وإننا ، عن حسن نية ، لإظهار مواهبنا المتواضعة . . هذه هي غايتنا الحقيقية .
فتقوا إذن أن الغرض الحقيقي من قدومنا ، (وما قدومنا للاستخفاف بكم وإهانتكم) هو
إرضاءكم ، ولإدخال السرور إلى قلوبكم . . لسنا هنا لإشعاركم بالندم على مشاهدة
تمثيلتنا . . المثلون جاهزون » .

فيه . فحدث إذن ولا حرج . أما هذا الرجل الذى يحمل القنديل وحزمة من العصي ويتبعه كلب ، فيمثل ضوء القمر . ذلك أن العاشقين كانا يلتقيان فى ضوء القمر عند مقبرة نينوس حتى يبت كل منهما للآخر هواء . . أما هذا الحيوان الرهيب فهو الأسد . هو الأسد الذى أخاف ثيسى حين خرجت إلى الموعد ليلاً . وإذ فزت من الأسد ، سقطت منها عباءتها أثناء الفرار فجاء الأسد ولوث العباءة بفمه الدامى . . ثم يأتى بيراموس ، ذلك الشاب الودود طويل القامة ، فىرى عباءة ثيسى ملطخة بالدماء ، فيحسب أن الأسد إقتربها ، ويطعن صدره الحزين بسيفه الدموى فى شجاعة عظيمة . وبعد أن انتظرت ثيسى بعض الوقت تحت شجرة توت ، عادت إليه فوجدته صريعاً فاستلّت خنجره وانتحرت به . . . غير أنى سأترك الآن العاشقين والحائط وضوء القمر والأسد ليصوّروا لكم الأحداث بالتفصيل .

(يخرج الجميع فيما عدا الحائط الذى يمثلُه سنات)

ثيسوس : تُرى هل سيتكلم الأسد ؟

ديميتريوس : إن كانت هذه الحمير تتكلم يا مولاي فلا عجب أن يتكلم الأسد .

الحائط : فى هذه التمثيلية القصيرة أَلعب أنا ، وإسمى الحقيقى سنات ، دور الحائط . وفى هذا الحائط - كما قيل لكم - حُرْم أو شق يتحدّث عبره المحبّان ، بيراموس وثيسى ، ويتهامسان بأسرارهما . أما هذا الجير وتحشينة الطلاء على ملابسى ، وهذه الحجرة فى يدى ، فتوضّح أنى الحائط المشار إليه . وأما هاذان الإصبعان المنفرجان فى يدى فيمثّلان الشق الرهيب الذى حدّثتكم عنه ، والذى يتهامس عبره العاشقان الوجلان .

ثيسوس : أكنتم تتوقعون مثل هذه الفصاحة من جير وتحشينة ؟

ديميتريوس : إنه لأفصح حائط سمعته فى حياتى يتكلم يا مولاي .

ثيسيسوس : ها هو بيراموس يقترب من الحائط . . سكوت !

(يدخل بيراموس الذى يمثلته بوتوم)

بيراموس : أيها الليل البهيم ! أيها الليل حالك الظلمات ! أيها الليل الذى يعقب النهار ! أه منك يا ليل ، أه منك ، أه منك . إني لأخشى أن تكون ثيسى قد أخلفت وعدها . . وأنت أيها الحائط ، أيها الحائط الطيب الجميل الذى تفصل بين أرض أبيها وأرض أبى ! أنت أيها الحائط ، أيها الحائط ، أيها الحائط الطيب الجميل ! أين الشق فيك حتى انظر بعينى من خلاله ؟ شكرًا أيها الحائط المهذب ، وعسى أن يحسن الله جزاءك على هذا المعروف . ولكن ، من ذا هناك ؟ لا . ليست ثيسى . أيها الحائط الشرير الذى لا يريد لي الهناء . ملعونة أحجارك تلك التى غرّرت بعينى !

ثيسيسوس : ما دام الحائط قادرًا على التعبير عن نفسه ، فمن واجبه أن يردّ على هذه الإهانة .

بيراموس : لا يا مولاي ، ليس من حقه أن يردّ الآن . فجملة « غرّرت بعينى » هى الإشارة لثيسى بالدخول . ستدخل الآن فألمحها من خلال الحائط . وسترى يا مولاي بنفسك أن هذا بالضبط هو ما سيحدث . . ها هى ذى قد أقبلت .

(تدخل ثيسى التى يمثل فلوت دورها)

ثيسى : أيها الحائط ! مرارًا وتكرارًا سمعت أنينى وشكواى من أنك تفصل بين حبيبى الوسيم بيراموس وبينى . . لطالما قبلت أحجارك بشفتى الشبهتين بالكروز ، تلك الأحجار المدهونة بالجير وتحشينة الطلاء .

بيراموس : أرى صوتا . . سأمضى لتوى إلى الشق حتى أسمع وجه ثيسى . . . ثيسى ؟

ثيسى : حبيبى ! . أظن المتكلم حبيبى .

يراموس : ظننى كما شئت . فأنا جيبك الذى يماثل وفاؤه وفاء ليماندر .

ثيسبى : وسأظل إلى الموت وفيه لك وفاء هيلين لحبيبها .

يراموس : ما كان وفاءً شفالوس لبروكريس كوفائى لك .

ثيسبى : ووفائى لك كوفاء شفا لوس لبروكوس^(١) .

يراموس : قبلنى عبر الحُرْم فى هذا الحائط اللعين .

ثيسبى : ما أراى قبلتُ غير شقِّ الحائط لا شفيتك .

يراموس : قابلىنى إذن للتو عند مقبرة نينى .

ثيسبى : سأتحدى الحياة والموت وأقابلك لتوى .

(يخرج يراموس وثيسبى)

الحائط : وهكذا أكون ، أنا الحائط ، قد أدت دورى . وإذ انتهى هذا الدور
فإن الحائط يتسلل خارجاً .

(يخرج)

ثيسبوس : قد زال الحائط إذن بين الدارين .

ديميتريوس : المشكلة لا تزال قائمة يا مولاي . فما دامت للحيطان أذان فسيظل
بوسعها أن تسمع أسرارها حتى من على بعد .

هيوليتا : لم أر فى حياتى ما هو فى سخافة هذه التمثيلية .

ثيسبوس : ما خير التمثيليات إلا خيال زائف ، وما أسوأها بأسوء من خيرها متى
استعان المتفرج بمخيلته لإكمال نقص الأداء .

هيوليتا : هى مخيلتك إذن التى يُعتمدُ بها لا مخيلة الممثلين .

ثيسبوس : ولو كان رأينا فيهم كرايم فى أنفسهم كخُلناهم رجالاً عظاماً . . .
وهذان وحشان آخران قد أقبلأ . . رجل وأسد .

(١) اختلط الأمر على يراموس وثيسبى . فالمقصود هنا هم لياندر (لا ليماندر) وحبيته هيرو
(لا هيلين) ، وشفالوس (لا شفالوس) وحبيته بروكريس (لا بروكوس) . كما ظنت ثيسبى
أن شفالوس هو المرأة .

(يدخل الأسد ، ويمثله سنّج ، وضوء القمر ، ويمثله ستار فلينج)

الأسد : أيّتها السيدات ، يا من تنفطر قلوبهن الرقيقة من الخوف لرؤية أصغر
فأر متوحش يجرى على الأرض ، قد تتزعجن الآن هنا وترتعد أبدانكن
حين تسمعن زئير الأسد المفترس الغاضب . غير أنى أبادر فأطمئنكنم ،
فأنا سناوت النجار ، ألعب دور أسد فتاك . . أسد لا مجرد لبؤة .
وفتاك لو أنى صارعت أحدا هنا ، لغدا المنظر لعمرى مخيفاً رهيباً .

ثيسوس : وإنه لعمرى أسد رقيقٌ للغاية ، وذو ضمير حيّ .

ديميتريوس : لطف أسد شاهدته في حياتى يا مولاي .

ليساندر : كمثل الثعلب في شجاعته .

ثيسوس : وكمثل الأوزة في حكمتها .

ديميتريوس : لا يا مولاي . فالشجاعة لا يمكنها أن تطغى على الحكمة كما يطغى
الثعلب على الأوزة .

ثيسوس : والمؤكد عندى أن الحكمة لا يمكنها أن تنهض بعبء الشجاعة ، كما
لا يمكن للأوزة أن تنهض واقفة والثعلب يعتليها . . ولكن كفى . .
فلترك كل هذا لحكمته ، ولنستمع الآن إلى القمر .

ضوء القمر : هذا القنديل يمثل القمر ذا القرنين (١) .

ديميتريوس : كان من الأفضل لو أنه لبس على جبينه القرنين .

ثيسوس : ما هو بالهلال ، وإنها هو بدر قد اختفت قرونه في محيط دائرته .

ضوء القمر : هذا القنديل يمثل القمر ذا القرنين . وأما عنى فأمثل إنسان القمر .

ثيسوس : هذه أكبر غلطة في التمثيلية حتى الآن . فإن كان هو إنسان القمر ،
فالواجب أن يكون داخل القنديل لا خارجه .

ديميتريوس : هو لا يجرؤ على الدخول ، فالشمعة فيه موقدة ، إن دخل أطفأها .

هيوليتا : قد سئمت هذا القمر وبدأت أدعو أن يغيب .

(١) يعنى الهلال .

ثيسيسوس : على أى حال فإن ذكاهه المحدود يوحى بأنه على وشك الأفول .

ومع كل هذا فإن دواعى الأدب تلزمنا بالبقاء حتى النهاية .

ليساندو : واصل حديثك يا قمر .

ضوء القمر : كل ما علت أن أقوله هو أن هذا القنديل يمثل القمر ، وأنى أمثل

إنسان القمر ، وهذه العصي هى عصيتي ، وهذا الكلب كلبى .

ديميتريوس : كل هذا ينبغى أن يكون داخل القنديل ، فكلمها فى القمر . . ولكن ،

صه افها هى ثيسى تدخل .

(تدخل ثيسى)

ثيسبى : ها هى مقبرة نينى . فأين حبيبى إذن ؟

الأسد : (يزأر) أووو .

(ثيسى تلوذ بالفرار)

ديميتريوس : حسنا زارت يا أسد .

ثيسوس : حسنا عذوت يا ثيسى .

هيوليتا : حسنا سطعت يا قمر . . أقسم أنه يسطع فى رشاقة بديعة .

(يعضّ الأسد عباءة ثيسى)

ثيسوس : حسنا عضضت يا أسد .

ديميتريوس : ثم يأتى بيراموس .

(يخرج الأسد)

ليساندر : وهكذا يختفى الأسد .

(يدخل بيراموس)

بيراموس : أيها القمر الجميل ، إنى لشديد الإمتنان لإرسالك هذه الأشعة

الشمسية . . أشكرك أيها القمر على ما تسطع به الآن من ضوء باهر ،

إذ سيمكّننى هذا الضوء الكريم الذهبى المتلألئ من رؤية وجه ثيسى

فى وضوح وجلاء .

ولكن ما هذا ؟ يا للهول ! انظر أيها الفارس المسكين ،
تطلّع إلى هذا المنظر المفجع الأليم .
أتراه عيناك ؟ كيف حدثت هذه المصيبة ؟
آه يا بطنى ! آه أيتها الحبيبة !
عباءتك الجميلة البيضاء
أراها ملطّخة بالدماء .
تعالى يا أرواح الثّار ، وأنت أيتها الأقدار
واعصفى عصفا بالشريرين والأبرار .
إسمعى وعسى
دمّرى واقمعى
كسرى واسحقى
هشّمى واحرقى .

ثيسيسوس : هذه العاطفة القوية وموت صديق عزيز قد يثيران فى المرء إحساسًا
يشبه الحزن .

هيبوليتا : أقسم أنى قد بتّ أشفق على الرجل .

بيرامسوس : لم خلقتِ الأسود أيتها الطبيعة
وقد قتل الأسد الشرير حبيبتى الوديدة ؟
فتاة هى - لا ، لا ، بل فتاة كانت أجمل الفتيات ،
عاشت وأحبّت وهوت ووجهها تعلوه البسات . .
فيضى أيتها الدموع ، وتعال أيها السيف البتار
فاطعن صدر بيراموس ، هنا ، إلى اليسار
حيث يخفق القلب . . . وهكذا أموت .
هكذا . . هكذا . .
والآن قدمتُ وفارقتُ روحى الجسد
صاعدة إلى السماء . . فليغب ضوء اللسان ،

وليسكت القمر عن الكلام .

(يخرج ضوء القمر)

والآن أموت ، أموت ، أموت ، أموت ، أموت .

(يموت)

ديميتريوس : وهكذا يموت ، بسيفه الصّموت (١) .

ليساندر : وصار بموته نسيًا منسيًا بسبب ذلك الوحش .

ثيسوس : أنستدعى الطبيب ليعالج هذا الجحش ؟

هيوليتا : كيف يخرج ضوء القمر قبل أن تعود ثيسبي وتعرثر على حبيبها ؟

(تدخل ثيسبي)

ثيسوس : ستجده على ضوء النجوم . . ها هي ذى ، وبالتعبير عن ألمها تنتهى التمثيلية .

هيوليتا : لا أظنها فى حاجة إلى إطالة نعيها لمثل هذا الممثل ، وآمل أن يكون تعبيرها عن ألمها مختصرًا .

ديميتريوس : ليس بوسع أحد أن يقول أيها كان فى التمثيل أفضل ، بيراموس أم ثيسبي : فيراموس الرجل كان مصيبة ، وثيسبي المرأة كانت كارثة رهيبة .

ليساندر : ها هي وقدرات بعينها الجميلتين جثته .

ديميتريوس : وستلول بالبكاء ، كما سترون .

ثيسبي : أناثم أنت يا حبيبى ومهجتى ؟

أم أنك ميتٌ يا حامتى ؟

قم يا بيراموس ، تكلم ، تكلم .

(١) السيف الصّموت : الباطل .

مالك صامتٌ كالأبكم ؟
أُميتُ أنت ؟ إذن فلا بدّ من مقبرة عميقة
تُخفى هاتين العينين الجميلتين عن أعين الخليقة .
وداعا إذن لهاتين الشفتين في لون أزهار السوسن البيضاء ،
ولهذا الأنف في لون حبّات الكرز الحمراء ،
ولهذين الخدين الصفراوين في لون زهر الربيع .
وداعا وداعا ، أيها الرجل البديع .
إبكوا أيها العشاق ، من فتیان وفتيات ،
واندبوا عينيه الخضراوين في لون الكُرّات .
وتعال إلّى أيها القدر الرهيب
وبيديك الشاحبتين في لون الحليب
أغرّقنى في بحرٍ من الدماء القانية
بعد أن قضيت على حياة حبيبي الغالية . .
لا تنطق بكلمة أيها اللسان المجنون ،
وتعال إلى صدرى أيها السيف الخنون .
وداعًا إذن أيها الأصدقاء
ويا أيها الخللان الأوفياء
وانظروا ثيسبى تنهار وتتداعى
وتقول : وداعًا ، وداعًا ، وداعًا .
ثيسبيوس : وبقي ضوء القمر والأسد للقيام بدفن الموتى .
ديميتريوس : أجل . والحائط أيضًا .
بوتوم : لا ياسادة ، فقد أزلنا الحائط الذى كان يفصل بين دارى أبويهما . .
والآن ، هل تأذنون لنا بتلاوة الحاتمة ، أم تفضّلون مشاهدة رقصة
إيطالية يؤدّيها إثنان من أعضاء فرقتنا ؟

ثيسوس : لا داعى للخاتمة ، أرجوك . فتمثيليتكم ليست فى حاجة إلى الإعتذار، ولا إعتذار إن كان الممثلون كافة قد ماتوا وأضحى من المحال معاتبهم . . . ولو أن كاتب هذه المسرحية كان قد قام بدور بيراموس ، وشنق نفسه برباط ساق ثيسبى ، لكانت المسرحية تراجيديا ممتازة . . . وهى ممتازة بالفعل ، وقد أحسستم أداء أدوارها . هيا إعرضوا رقصتكم إذن ، وانسوا أمر الخاتمة .

(رقصة إيطالية ، يخرج بعدها بوتوم والعمال)

ها قد بلغنا منتصف الليل ، وهو الوقت الذى يختاره الجن للظهور . فليمض العشاق إلى فراشهم . ولا شك فى أننا سنستيقظ فى ساعة متأخرة من الصباح حيث أننا قد أطلنا السهر . كما أنه لا شك فى أن هذه التمثيلية الرديئة الحمقاء قد ساعدتنا على إحتمال ببطء ساعات الليل . . فهيا إذن إلى الفراش أيها الأصدقاء الأعزاء . وسنحتفل على مدى أسبوعين بزمجائتنا السعيدة ، فنقضى الليالى فى احتفالات شتى وتسليلات جديدة .

(يخرجون)

المشهد الثاني
مكان آخر بالقصر
(يدخل بك)

بـك : أما وقد هبط الليل فقد عاد الأسد الجائع يزأر
وعاد الذئب ينيح القمر
وها هو الفلاح وقد أنهى عمل اليوم
يُصدر الشخير أثناء النوم
والمدفئة قد خمد وميض جمراتها
وبومة الليل تطلق صرخاتها
فتجعل المريض في سهاده
يفكر في القبر وفي معاده .
قد هبط الليل والقبور إنشقت
والأرواح من جوفها قد خرجت
وفي ممرات فناء الكنيسة إنتشرت .
أما نحن الجن فنعدو إلى جوار الخيل
التي تجرّ عربة مليكة الليل
هاربين من الشمس نريد الظلام

نرتع فيه كما ترتع الأحلام .
ولن نسمح لفأر أو لإنسان
بأن يزعج هذه الدار التي باركها الجان .
وقد أرسلوني بمكنسة أكنس بها التراب
ثم أكوّمه أكوامًا خلف الباب .
(يدخل أويرون وتيتانيا وأتباعهما)

أويرون : أضيئوا يا صغار الجن بشموعكم الدار
بعد أن انطفأت في مدافئها النار .
واخجلوا واقفروا في خفة الطيور
في تنقلها بين الأغصان والزهور
وشاركوني في غناء أنشودة بديعة
ترقصون على أنغامها بخطى سريعة .

تيتانيا : إحفظوا أولا كلماتها
ورددوا نغماتها
ولتسبك أيدينا
إذ ننشد أغانيها
وبرشاقة الجان
نبارك هذا المكان

(يغنون أغنية)

أويرون : ليطف كل منكم في أنحاء الدار
حتى مطلع النهار
ولنبداً بالدوق وعروسه ندعو لهما بالخيرات
واليمين والبركات
ولنسلها المنتظر بالحظ السعيد

والعمر المديد .

وللأزواج الثلاثة في سعدهم

بأن يكون الوفاء دوما طابع حبيهم .

سائلين يد الطبيعة أن تُعفى أولادهم

من الوحّات التى تشوّه أجسادهم

مثل الشفاء المشقوقة والتدوب والشامات السوداء ،

مما يُحزن الآباء رؤيته فى الأبناء .

تفرّقوا إذن ، وانهضوا بواجباتكم

مستخدمين هذا الطلّ فى مباركاتكم .

لا تتركوا غرفة واحدة من الغرفات

دون أن تُغرقوها بالدعوات

وادعوا لصاحب الدار بالسرور

وبالسعادة والخير والحبور .

هيا إذن وأسرعوا أيها الصغار

وقابلونى عند مطلع النهار^(١) .

(يخرج الجميع عدا بك)

بـــــــــك : (يخاطب الجمهور)

إن لم تكن التمثيلية قد حظيت برضائكم

فرجائى الحار من جمّعكم

أن تتخلّوا أنكم كتتم هنا نياما

وأن ما شاهدتموه كان رؤى وأحلاما

(١) ليذكر القارئ ما سبق أن ورد بالمقدمة من أن شكسبير ألفَ هذه المسرحية كى تمثل أثناء حفل زفاف . وواضح أن الداعى والعروضين مقصودون بهذه الدعوات .

واعتبروا موضوعها التافه الهزيل
في مقام الحُلم ، قدره ضئيل .
فلا تلومونا أيها السادة الكرام ، وغضّوا الطُّرف عنها
وإن غفرتُم لنا جئنا لکم بعدها بخير منها .
فإن كان الحظ هذه المرة قد خان
فإني أقسم لکم بشرف الجان
أننا كى نتلافى أنياب الثعابين والنقد المرير
سنقدم تمثيلية أفضل بعد زمن قصير .
فإن لم نفعل فسمّوني بک الکذاب الأثيم .
طابت ليئک إذن أيها الجمهور الكريم .
وإن خلّصت نيئکم تجاهنا فلا بأس من تصفيق
وسنُصلح من شأننا ، مخافة أن نبقى بغير صديق .
(يخرج)

ويليام شكسبير

١٥٦٤ - ١٦١٦

المسرحيات

١٥٩٩	٢٠ - كيا تحب	١٥٩٢	١ - تيتوس أندرونيكوس
	٢١ - زوجات ويندسور	١٥٩٢	٢ - هنرى السادس (الجزء الأول)
١٦٠٠	المرحات	١٥٩٢	٣ - هنرى السادس (الجزء الثانى)
١٦٠٠	٢٢ - ترويلوس وكريسيدا	١٥٩٢	٤ - هنرى السادس (الجزء الثالث)
١٦٠١	٢٣ - هملت	١٥٩٢	٥ - ريتشارد الثالث
١٦٠١	٢٤ - الليلة الثانية عشرة	١٥٩٣	٦ - كوميديا الأخطاء
١٦٠٤	٢٥ - دقة بدقة	١٥٩٣	٧ - ترويض السليطة
١٦٠٤	٢٦ - عطيل	١٥٩٤	٨ - سيدان من فيرونا
١٦٠٤	٢٧ - الأمور بخواتيمها	١٥٩٤	٩ - خاب مسعى العشاق
١٦٠٦	٢٨ - مكبث	١٥٩٤	١٠ - روميو وجوليت
١٦٠٦	٢٩ - الملك لير	١٥٩٥	١١ - ريتشارد الثانى
١٦٠٧	٣٠ - أنطونيو وكليوباترا	١٥٩٥	١٢ - حلم ليلة فى منتصف الصيف
١٦٠٧	٣١ - تيمون الأثينى	١٥٩٦	١٣ - الملك جون
١٦٠٧	٣٢ - كوريو لانوس	١٥٩٦	١٤ - تاجر البندقية
١٦٠٨	٣٣ - بيريكليس	١٥٩٧	١٥ - هنرى الرابع (الجزء الأول)
١٦١٠	٣٤ - سيميلين	١٥٩٨	١٦ - هنرى الرابع (الجزء الثانى)
١٦١١	٣٥ - قصة الشتاء	١٥٩٨	١٧ - جعجعة بلاطحن
١٦١١	٣٦ - العاصفة	١٥٩٩	١٨ - هنرى الخامس
١٦١٣	٣٧ - الملك هنرى الثامن	١٥٩٩	١٩ - يوليوس قيصر

رقم الإيداع ٩٤ / ٩٠٨٣

I.S.B.N 977-09-0237-3

مطابع الشروق

القاهرة: ١٦ شارع حرداد حسى - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - فاكس : ٣٩٣٤٨١٤

بيروت : ص ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣

حلم ليلة فك منتصف الصيف

و يليام شكسبير

تتمثل المعجزة الحقيقية التي حققها شكسبير في مسرحية « حلم ليلة في منتصف الصيف » (كما في الكثير من مسرحياته الأخرى) في خلقه وحدة واحدة بالغة الانسجام والسلاسة والعذوبة من عناصر كثيرة استوحاها من مصادر عدة ، والجمع بين تلك العناصر المتنافرة في بناء تمثيلي واحد ، وكذا في قدرته على خلق جو سحري يغلف المسرحية كلها ، ومهارته في المزج بين الكلاسيكية والرومانسية والواقعية في تناوله لأحداثها ، وتنقله الرائع السلس بين استخدام العمال للنثر، والعشاق للشعر المقفى . والنبلاء للشعر المنشور ، والجن للأغاني . . فإن كانت كافة شخصيات المسرحية - فيما عدا بوتوم - باهتة المعالم ، فإن إتقان تصوير الشخصيات لم يكن هدف المؤلف ، وإنما كان هدفه خلق جو متميز من السحر عن طريق التحليق في سماء الخيال ، مما لا يدع حاجة أو داعيا إلى العناية بتصوير الشخصيات . . ويقول النقاد اليوم بعد مرور أربعة قرون على تأليف المسرحية (١٥٩٥ - ١٩٩٥) إنها كانت من أجظى مسرحيات شكسبير بالشعبية والنجاح في القرن العشرين .